Digitized by Birzeit University Library

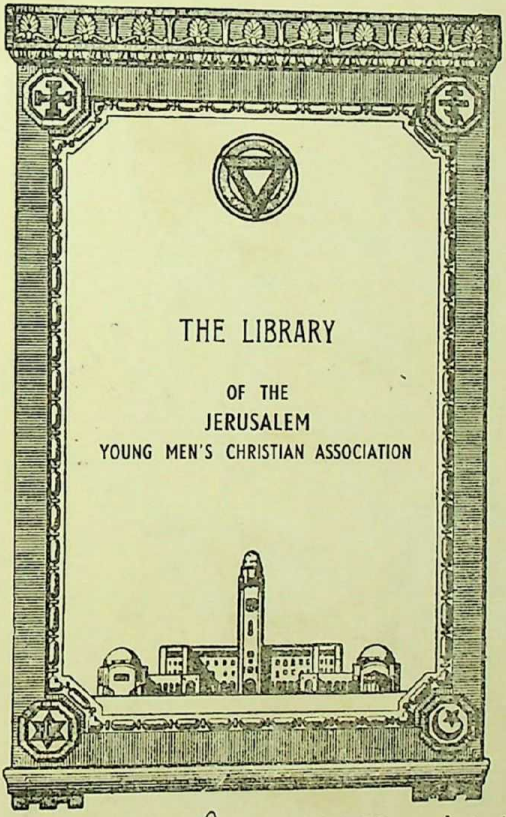

BOOK NO. A M827h CLASS A-Fiction

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

الحقيقة المهددة

تعريب

ادوار صرفص

PJ
7692
F8
H4
1932
RBK

حوادثُ صاحَ مغزاها تمهَّلْ بحكمك ايها القاضي اللبيبُ
اذا اخترتَ الظواهرَ بيّناتٍ على ما غاب باطنهُ العجيب
شططتَ عن الصوابِ وزدتَ ظلماً على المظلوم وانتصرَ المريب

«المعرب»

(نشرت تباعاً في جريدة البشير)

المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين
بيروت ١٩٣٢

Digitized by Birzeit University Library

1118

Digitized by Birzeit University Library

AM827A

مقدمة للمعرب

يقول اولو المعرفة ودقة النظر : ان آية الجودة التي لا تنكر ولا تدحض من كل رواية هي ان يتناولها القارئ فيخلب سياقها قلبه ولبه حتى لا يجد عنها صبراً ويود لو استطاع ان يأتي عليها في جلسة واحدة . فاذا صح ما قالوه — وهو الصحيح كل الصحيح — فالرواية الحاضرة تحسب في الصف الاول بين الروايات جودةً وإتقاناً

وهي، فضلاً عن نصيبها الكبير من الطلاوة والفكاهة، ذات نصيب غير يسير من الفائدة بتمثيلها مكارم الاخلاق ومساوئها وتغلغلها في شيء من نواحي هذا المجتمع البشري . واظهر مزاياها من هذا القبيل انها تعرض صورة جلية مدققة للمرأة الممتلئة حسداً وحنقاً المحرومة كل شعور شريف ؛ وصورةً ثانية لا تقل عن الاولى جلاءً ودقةً للمرأة الجامعة بين شرف المبدأ والسيرة وجرأة القلب وعزة النفس، على غير وقاحة ولا كبرياء بل ضمن اطار من اللطف ورقة الطبع . ولكنه اطار له تخوم معينة فلا يبلغ التدليس والخداع ولا يجاورهما . وهناك صور نفسية اخرى حيزها من الرواية دون حيز هاتين الصورتين . ولا يخفى ما وراء ذلك من مواضع اتعاظ واعتبار وبواعث استثارة الذهن وسمو الخيال

وقد اجتهدت ان اكسو الرواية ثوباً عربياً يليق بمعانيها

Digitized by Birzeit University Library

ومراميها بحيث لا يقل بهاء عن ثوبها الاصلي في النص الفرنسوي. والفضل على كل حال مرجعه الى المؤلف لا الى المعرب المتطفل. فلولا اجادة ذاك لم يجد هذا الى الاجادة سبيلاً

ولكني على سبيل الاختصار حذفت من الرواية اشياء قليلة ضئيلة القدر قوامها وصف وتفصيل امور مستطردة خارجة عن جوهر الموضوع. وهذه التفاصيل يستحسنها القوم في اوربة واميركة او لا يرون فيها بأساً. واما عندنا فهي ادعى الى التضجر والتذمر. ولا انكر ان خطتي في امثال هذه الاختصارات عند التعريب خطة قديمة ترتقي الى اوائل عهدي بالادب وقد حمدت مغبتها في كل المواقف. ومقابل هذا الاختصار اضفت الى الرواية زيادات يسيرة عند الوصول الى امضى النتائج، مشبعاً الكلام في ذكرها مع متعلقاتها، وكان الكاتب قد اكتفى لها بكلمات وجيزة مما نعده بتراً ولا نستحسنه

واما مغزى الرواية الاكبر فهو التباس الحق بالباطل في كثير من القضايا التي لا ينطبق ظاهرها على باطنها. وقد عقدت هذا المغزى وبسطته قليلاً في ثلاثة ابيات تقدمت هذه المقدمة

Digitized by Birzeit University Library

١

— هناء بيت يزول —

انتشر بين اهالي باريس ذات صباح خبر مقتل المسيو جوميني صاحب المكتبة الشهيرة على رصيف كونتي. فاستغربوا الامر وحاروا فيه لان الجريمة ظهرت غامضة في سببها ونتيجتها ولان القتيل كان ذا معيشة هادئة وعلاقات طيبة مع الناس، فلم يتوقع له احد تلك العاقبة الوخيمة

وقد كان المسيو جوميني رجل جد وعمل وحسن ترتيب وطبع رصين، مغرماً بالآثار العلمية والادبية، احتوى محله من نفائسها وتحفها شيئاً كثيراً امتاز بعضه بالبلاغة وحسن السبك وبعضه الآخر بكونه اثراً خطيًا قديماً، ولم تكن مكتبة عمومية في باريس تضاهي مكتبته في امثال تلك التحف والنفائس. وقد حسده اصحاب المكاتب على ذلك كما حسدوه على دخله الطائل، وطالما ذكروا ذلك وعزوه الى حسن حظ الرجل ضاربين صفحاً عن مهارته وخبرته ونشاطه

وكان جوميني عارفاً باصحاب اللوذعية والقرائح الناضجة من علماء وادباء قومه. وربما احس بتفوق الواحد منهم وهو لا يزال خامل

Digitized by Birzeit University Library

الذكر، فيشتري منه مؤلفاته ويبيعها ولا يلبث ان ينتقل ذلك الاديب المنكود الحظ من الخمول الى الشهرة ونباهة الذكر. وفوق هذا كان جوميني يعز عليه احياناً بيع الآثار الادبية الممتازة جودة ونفاسة فيرد طالبيها خائبين ولو عرضوا عليه ثمناً حسناً لها. فيتوهم كثيرون منهم ان رفضه البيع من قبيل الدهاء والطمع، بمعنى انه يستثير الرغبة والاهواء ليتمكن من بيع كتبه بمضاعف الثمن المقدر لها. هكذا كان يتهمه بعض الناس. واما عارفوه فكانوا موقنين انه بريء من هذه التهمة وانه لا يفعل ما يفعل في بعض الاحايين الا بدافع شريف من نفسه لشدة تأثره من خروج التحف العلمية من عنده. وقال مرة لبعض رجال المجمع العلمي الفرنسوي اي الاكاديمية الفرنسوية الذين يترددون الى محله: اني احس بخروج جزء من كياني كلما خرج من عندي كتاب نفيس ولكني اتعزى اني جمعت لمطالعاتي في غرفتي العليا مقداراً من عيون المصنفات وامهاتها لا ابيعها بثروة من المال

ابتدأ جوميني عمله في تجارة الكتب يوم كان فقيراً او مجاوراً الفقر ثم تمكن شيئاً فشيئاً من تحصيل ثروة تبلغ مليوني فرنك ذهباً. وهذا مبلغ لا يستهان به حتى في ايامنا هذه. ولكنه يوم حصله اي قبل الحرب الكونية الاخيرة بعشرين سنة كان يحسب غنى عظيماً. وقد قدم ربع هذا المبلغ اي نصف مليون فرنك ذهباً للمرأة التي احبها قلبه وتشربها لبه فاتخذها له زوجة بعدما فقد زوجته الاولى. وقد تعود من اوائل نشأته التعب والتدقيق في اعماله وظل على هذه العادة بعدما اثرى واصبح عنده اعوان ومستخدمون

Digitized by Birzeit University Library

يمكنه ان يحيل معظم العناء عليهم ويستريح هو . ظل مساء كل يوم ينظر الحسابات بنفسه وينظمها ولا يترك الى الغد شيئاً منها او من المكاتبات . وان تغافل عن شيء من ذلك ذات يوم لعائق من العوائق ، فقد ينهض من فراشه في جوف الليل وينير القنديل وينجز ما نقصه وهو في غرفته الخصوصية

وفي تلك الغرفة وجد مقتولاً عند الساعة الاولى بعد نصف الليل

وكان تلك الليلة قد اخذ زوجته الى احد مسارح التمثيل وعادا الى المنزل ماشيين اذ فضلا المشي على ركوب العربة تمتعاً بالطقس الجميل تلك الساعة . واخذ الزوجان يتسامران وهما على الطريق وكل منهما راضٍ عن الآخر كل الرضى مسرور بمعيشته مغتبط بها . وقد اشار جوميني الى هذا في حديثه مع زوجته وعقب ذلك بقوله : ان الهناء الذي اشعر به بفضل وجودك معي اصبح عظيماً ايتها الحبيبة حتى لأخشى ان ينقلب الى ويل وتتولد لنا منه فاجعة غير منتظرة قياساً على المعروف من غدر الدهر الذي لا يدوم صفوه ولا يثبت نعيمه

ولما قال ذلك شعر بامتعاض وارتعاش قليل في زوجته فندم على تكدير نفسها بتلك البادرة وبش في وجهها قائلاً :

لا تقيمي وزناً لما سمعته مني فهو فلسفة في غير موضعها والا فما الذي نخشاه واعمالنا ناجحة والمقادير لنا مساعدة

— قل الله يساعدنا . ولا تقل مقادير او طبيعة او احوال او نحو ذلك من التعابير التي عليها صبغة كفر او شبه كفر

Digitized by Birzeit University Library

فتبسم واجابها :

اصبتِ واحسنت . وانه ليعجبني فيك روح التدين والتقوى . ومزيتك هـذه في جملـة المزايا التي دفعتني الى اختيـارك شريكة لحياتي

ثم اخذ يكاشفها ما ينويه من اعمال مالية تجارية تتعلق بمحلـه فقالت له :

مالك ولهـذا العناء الطويل العريض ايهـا العزيز . او ليس عندنا من المال مـا يكفينا دون ان تستزيده وتزيد نفسك كدًا وكدحاً ؟

— نعم عندنا منه الآن ما يكفي لارغاد عيشنا . ولكن ينبغي ان نتفكر في معيشة اولادنا الذين قد يرزقنا الله اياهم . وينبغي ان نفكر في الصغيرين اخيك شارل واختك هنريت الباقيين في مسقط رأسك فانهما محتاجان الى مساعدتنا

— شكراً لك يا عزيزي على فضلك ومروءتك

— امسرورة انت في حالتك يا منتهى املي ، وانا معك ؟

— هذا السؤال منك مستغرب . لو لم اكن مسرورة لكنت في منتهى اللؤم والخبث . نعم اني مسرورة كل السرور . بـل ارى السرور فيّ قد تجاوز حدّه . . . . .

القت عبارتها الاخيرة بلهجة وهيئة دالتين على القلق والاضطراب وعلى انها تكنُ في اعماق نفسها ما لا تود اعلانه . فلحظ زوجها ذلك منها فاوجس خيفة عليها وسألها :

يا للعجب ! ما معنى ما تقولين ؟ كيف يكون سرورك

متجاوزاً حده ؟ افصحي لي عما تضمرين

فظلت على الصمت مترددة في امرها وقد ظهرت على وجهها امارات الارتباك . فعاد زوجها الى السؤال والالحاح حتى اضطرت الى النطق فقالت :

ان نفسي تحدثني كما تحدثك نفسك بشيء من المخاوف والمخاطر على هناء معيشتنا . يوحي اليَّ قلبي ان هذا الصفاء لن يدوم لنا وليس عهده بالطويل . وطالما غالبت هذه الهواجس باحكام العقل وقلت انها غير مبنية على اساس معقول ولكنني قلما غلبتها . وان تمكنت من دفعها فالى حين قصير اذ لا تلبث ان تعود اليَّ وتحوم حوليَّ

— انها هواجس صبيانية ووساوس شيطانية ليس من العقل ان تصغي الى صوتها ، فليس في احوالنا ما يسوّغ قبولها ، وحاشا لله عزّ وجلّ ، وانت من اشد الناس ايماناً بعدله ومراحمه ، ان يدمر بيتاً هنيئاً صنعته يداه وفاضت عليه نعماه

فتظاهرت الزوجة انها اقتنعت بما سمعت ثم اتمّا الطريق و كلاهما ساكتان حتى بلغا المنزل . فصعد جوميني الى عليته لاتمام بعض كتابات او حسابات عليه ودخلت زوجته غرفة النوم وقد ساورتها المخاوف . ثم لم تلبث ان نالها اعياء ذهني فنامت

وعند بزوغ الفجر استيقظت وما كان اشد ذعرها ودهشتها حين التفتت الى سرير زوجها فلم تجده فيه ولم تكن عادته ان يتغيب من غرفته ليلاً الا نصف ساعة او ثلاثة ارباع الساعة . فقالت في نفسها : ويحي ما الذي جرى له . لعله مريض او سقط سقطة مؤلمة

Digitized by Birzeit University Library

او اعتراه عارض شديد لم يستطع معه النزول اليّ ولا استدعائي اليه. فكّرت في ذلك واسرعت كلمح البصر الى العلية، وقد خفق فؤادها واصطكت ركبتاها. ولما وصلت الى عتبة الغرفة وجدت زوجها قتيلاً مضرجاً بدمائه... فصرخت واستغثت، وسقطت الى الارض وقد كادت تفقد صوابها...

٢

حيرة رجال القضاء في الحادث

اقبل بعض رجال القضاء الى موضع الحادث وهم المستنطق المسيو كورسيل والمدعي العام المسيو لكرانج وكاتب المستنطق المسيو ميتاوا

امعنوا النظر في ما حواليهم، فوجدوا القتيل ممدداً على الارض مبعداً قليلاً عن الخزانة الحديدية وتلك الخزانة مفتوحة ولم يزل مفتاحها في قفلها ومحتوياتها على ما يظهر لم تزل داخلها حسبما كان القتيل قد رتبها

ولما حضرت زوجة القتيل وسألوها عما تعلم من امر الحادث قصت عليهم ما مرّ بالقارئ خبره من ذهابها تلك الليلة مع زوجها الى مسرح التمثيل وعودتهما في ساعة متأخرة من الليل وصعود زوجها الى تلك العلية وكيف غلبها النعاس في غيابه فلم تستيقظ الا عند بزوغ النهار وكيف وافت لتتفقده فوجدته في تلك الحالة الفظيعة

Digitized by Birzeit University Library

فوجه المستنطق نظر السيدة الى الخزانة الحديدية وسألها هل ترى شيئاً مسلوباً منها فتقدمت وبعدما فحصتها قالت :

نعم اعلم ان زوجي في ليلته الاخيرة وضع فيها خمس عشرة ورقة مالية قيمة كل منهـا الف فرنك ذهباً والآن لا اجدها . ووضع في هذا الدرج من الخزانة (واشارت الى الدرج) اربعين ليرة فرنسوية ذهبية لا ارى لها اثراً

فلما سمع الشرطي كلماتها الاخيرة اطرق رأسه باحثاً بنظره عند مواطئ اقدامه فوجد ليرة فرنسوية فالتقطها ، ولا شك انها كانت من عداد الليرات الاربعين وغفل عنها السارق عنـد سقوطها لشدة سرعته في اتيان فعلته وخروجه من المحل

ثم انصرفت السيدة من بينهم ونزلت الى الطابق الاسفل من منزلها . وعاد رجال العدلية الى النظر والتفكير ، وقد ظهرت علامات الحيرة والارتباك عليهم ، واخذوا في التعليل والتأويل وهم لا يفضون منه الى منفذ لحل المشكل ، حتى كاد ذلك الحادث يكون مجلبة لاتهامهم بقلة الذكاء والحذق وضعف الخبرة في مقتضيات وظيفتهم

وبعد مهلة دقائق يسيرة قال المستنطق انها لجريمة غريبة في اطوارها مشكلة في حل اسرارها . فوافق رفاقه على ما قال وكلهم عابسون عبوس استيـاء واستغراق في التفكير . وعـاد المستنطق الى الكلام قائلاً :

لا شك ان القاتـل غير غريب عن البيت بل هو عالم بمداخله ومخارجه عارف ميعاد رجوع المسيو جوميني الى منزله وانـه بعد رجوعه لا بد له من الصعود الى هذه العلية وحده لانجاز مـا عليه

من كتابة او حساب

فوافق الحاضرون على هذا القول ايضاً ثم قال مفوض الشرطة : ينبغي لنا لاجل زيادة اليقين ان نسأل البواب هـل فتح الباب بعد عودة سيده لاحد الزائرين . فاجابه المدعي العام : سألت البواب عن ذلك فاجابني سلباً

فقال المستنطق : افلا يجوز ان القتيل كان بينه وبين احد الناس موعد لقاء في هذه الغرفة

فقال المدعي العام : ذلك لا يجوز ما دام البواب يقول انه لم يفتح الباب لاحد . ثم ان السيدة جوميني اخبرتني في جملة حديثهـا انها عند خروجهـا من المسرح عرض عليها زوجها ان يتوجها الى احد المطاعم لاجل تناول الطعام فلو طاوعته لما عادا الى المنزل الا عند الساعة الثانية بعد نصف الليل . وليس في مثل هذه الساعة يزور الناس بعضهم بعضاً

ثم اخذوا يتجاذبون اطراف التقدير والفرض فقـال المدعي العام :

يظهر لنا الى الآن ان مهمتنا في البحث ستكون منحصرة في حاشية القتيل اي في من حوله في منزله ومكتبته من الناس . فهل لنا ان نسي الظن في واحد من هؤلاء . فاجابوه : كلّا . فقال : وانا مثلكم لا اسي الظن فيهم فالباقي لنا افتراض الانتحار فهل قتل الرجل نفسه يا ترى ؟ وما اسرع ما عدلوا عن هذا التقدير لعلمهم ان المسيو جوميني كان مغتبطاً في معيشته راضياً عنهـا كل الرضى موفقاً في اعماله كل التوفيق فلا يعقل ان من كانت هذه حالته يقدم

على الانتحار والتخلص سريعاً من حياته ودنياه . بـل ان جوميني لا ينتظر منه ان يقتل نفسه ولو كان في اسوإ الحالات استناداً الى ما يعرف من صبره وتجلده ورصانة طبعه . ويضاف الى كل ما ذكر انه قتل بطعنة نصل في ظهره وصل اثرها الهائل الى قلبه . والذي ينوي الانتحار لا ينتحر بمثل هذه الطعنة في ذلك الموضع من جسمه ولا يستطيعها

وفي اثناء هذه المحاورات، واكثرها كان من قبل المستنطق، ظهرت ابتسامة على ثغر الشرطي لكرانج وكأنها ابتسامة انكار او شك لما يسمعه من تعليل وتخريج فساء هـذا المظهر المستنطق وسأل لكرانج بلهجة لا تخلو من ازدراء وتهكم عما يضمره او يقدره . فقال لكرانج لا اضمر شيئاً وقرائن الحال تساعدك ياسيدي على افتراض ما تفترض

وفي جملة ما توصلوا الى استنتاجه ان المسيو جوميني تقـدم ليفتح خزانته فهجم عليه القاتل من وراثه وطعنه في ظهره تلـك الطعنة النجلاء . ثم التفت ذهنهم الى الاداة التي قُتل بها فلم يفتشوا قليلاً حتى رأوا خنجراً مسلولاً مخضباً بالـدم وهو ملقى في زاوية من الغرفة تحت بعض اثاثها . واذا بذلـك الخنجر خنجر المسيو جوميني نفسه وكان معتاداً ان يجعله على منضدته بقرب اوراقـه ويستعمله لتقطيع الاوراق ونحو ذلك . ومن عادة القتيل في اثنـاء حديثه مع جلاسه وهو في غرفته تلك ان يتناول الخنجر المذكور ويقلبه بين يديه متلهياً به . وبناء على ما ذكر ازداد القوم يقيناً ان القاتل اللئيم كان من الفاء القتيل فلم يستصحب سـلاحاً لاجراء

فعلته مستغنياً عن ذلك بما يعلمه من وجود الخنجر المذكور في الغرفة فوق المنضدة

وهنا رسخت عقيدة المحققين ان الجاني لا يمكن ان يكون غريباً ولكنها عقيدة لم تسهل عليهم مهمتهم بل زادتها صعوبة وتعقداً اذ في من يشكون من اهل البيت . وهكذا تبادلوا اللحظات ساكتين واجمين وهي لحظات ارتباك وحيرة ليس بينها وبين الاقرار بالعجز الاّ مسافة قصيرة

وكان الشرطي لكرانج قد عاد الى سكوته واتخاذه هيئة الواقف موقف الحياد او موقف الشاكّ في ما يرى ويسمع وقد انتبه اليه ثانية المستنطق فسأله :

— لكرانج . ما رأيك انت . لمَ لا تقول كلمتك ؟

— فتردد لكرانج قليلاً ثم قال :

ارى يا سيدي ان تعودوا الى استنطاق واستفهام ارملة القتيل

فقال المستنطق : يعز عليّ ازعاجها ثانية فوق ما هي عليه هذه المنكودة الحظ من الحزن والهم وانكسار الخاطر

فقال لكرانج : نعم يا سيدي انها في اسوإ حالة بدليل ما يظهر من صفرة لونها وارتعاش جسمها ونظرات البؤس في عينيها . ولكنها مع ذلك ذات عزيمة شديدة وطبع رصين وعقل حصيف فهي قادرة على امتلاك امرها وافادتنا ومساعدتنا في مهمتنا التي تهمها اكثر مما تهمنا . وليس غيرها من الناس قادراً على مساعدتنا في هذا الامر مثلها . واما قوة عزيمتها فقد استدللنا عليها من موقفها

Digitized by Birzeit University Library

الاول إزاءنا وكيفية حديثها ولهجتها

ففكر المستنطق في هذا الرأي قليلاً ثم استصوبه وقال : نعم لا بد لنا من الاستعانة بالسيدة جوميني الى اقصى حد تطيقه

٣

— ارملة القتيل امام المستنطق —

ارملة القتيل اسمها مرغريت دوفيرنوا وهي شابة ذات جمال وملامح جذابة . ولكنه جمال بعيد عن مظاهر الطيش بل يستشف الناظر وراءه دلائل رصانة الطبع وحصافة العقل وامارات حزن وغم كامن في اعماق النفس . وهذه الامارات كانت تظهر لعين المتأمل في السيدة مرغريت من قبل ان تفجع في زوجها . اي من يوم كان الهناء ورغد العيش يحف بها . فلما فقدت زوجها الامين زادت في وجهها تلك الامارات جلاء

وقد اظهرت السيدة المذكورة في مقتل زوجها ، على ما هي عليه من تحمل تلك المصيبة الفادحة ، رباطة جأش وقوة عزيمة وحضور ذهن مما يندر وجوده في الرجال بمثل تلك الاحوال المضعضعة فكيف به في النساء

لما رأت مرغريت زوجها قتيلاً مضرجاً بدمائه بكته بدموع سخية سخينة وكاد يغمى عليها من هول المصاب وروعته المفاجئة .

Digitized by Birzeit University Library

ثم تماسكت وتمالكت وان ظل جسمها يرتعش من شدة الهم والغم والاسف على ذلك الزوج الشريف اللطيف الذي كان قبل مقتله بساعة او ساعتين يحدثها ، والبشر والامل ملء وجهه وفؤاده ، عما ينويه من مشروعات وما يفكر فيه من زيادة الوسائل لهناء معيشته ومعيشتها

ادركت مرغريت لاول وهلة ان اعظم واجباتها الزوجية واقدسها في تلك الجناية الفظيعة ان لا تتضعضع لكي تتمكن من تمهيد السبيل جهدها امام رجال القضاء في البحث عن الجاني وامساكه والتنكيل به . واول ما فعلته انها منعت اتباعها وخدمها من نقل جثة القتيل عن موضعها ومن تغيير شيء من الترتيب في موجودات تلك الغرفة . لان بقاء الاشياء في مواضعها وعلى ترتيبها مما يساعد رجال القضاء على القيام بمهمتهم . ثم صلّت فوق رأس زوجها الصلاة المفروضة للميت على اثر وفاته . ثم استدعت الطبيب ورجال القضاء فحضروا وسألوها واجابتهم مما مر معنا بيانه . واما الطبيب فلم تكن مهمته عظيمة لان حالة القتيل اغنت رجال القضاء عن طلب فحص طبي مدقق فضربوا صفحاً عن تشريح الجثة اذ لا ينتظر من وراء تشريحها فائدة جديدة سوى انها تعيّن بتخمين اصحّ ساعة الوفاة . على ان ميعاد الوفاة قد عرفه القضاة بالتقريب من حديث الزوجة معهم

عرفوا ان القتيل فاضت روحه بين الساعة الاولى والساعة الثانية بعد منتصف الليل . وكانت الزوجة قد سألتهم ان يسمحوا لها بنقل الجثة الى غرفة النوم فسمحوا لها بذلك فنقلتها . ثم دلت

Digitized by Birzeit University Library

القضاة على غرفة مجاورة وهي التي كان المسيو جوميني يستقبل فيها الكتاب والعلماء الذين يفدون عليه للاتفاق معه على طبع كتبهم وآثارهم عنده وبيع حقوق طبعها ونشرها له. وفي تلك الغرفة جرى الحديث بينهم وبين مرغريت في المرة الاولى. وفيها ايضاً ظهرت امامهم ثانية حين سألوها الحضور

برزت مرغريت في المرة الثانية وكانت قد تمكنت من خلع حلتها الاولى وارتداء حلة الحداد السوداء عوضها. وكان الانكسار والالم الشديد ظاهرين في عينيها النجلاوين وهي في منتهى الهدوء والسكينة الاّ ان جسمها كان يرتعش ارتعاشاً خفيفاً حيناً بعد حين مع دمعات لا تستطيع المسكينة ردها فتبرز في جفنيها وتبادر الى التقاطها بمنديلها

نهض لها القضاة عند دخولها فحيتهم باشارة من رأسها واشار المستنطق لها الى كرسي امامه فجلست عليه ووضعت يديها متصالبتين فوق ركبتيها وظلت ساكتة منتظرة ما يقال لها. فخاطبها المستنطق بقوله :

— يعز علينا كثيراً ايتها السيدة وانتِ في حالتك المؤلمة هذه ان نزيدك انزعاجاً . ولكننا نرانا مضطرين الى ذلك لكي . . .

فقطعت مرغريت الحديث عليه قائلة :

— اعلم تمام العلم يا سيدي ان ما تذكره وتريد الاعتذار عنه هو حق من حقوقكم وواجب من واجباتي وها أنذا رهينة

Digitized by Birzeit University Library

اشارتكم في كل ما تطلبونه مني واجد اليه سبيلاً

فاخذ المستنطق يشرح لهما ان قرائن الحال تدعوهم الى التقدير ان الجاني الاثيم لا يمكن ان يكون غريباً عن البيت . . . فظهر شيء من الحدة في وجه الارملة ولهجتها مما يناقض مظهر الوقار والسكينة الذي كان غالباً عليها وصاحت :

— لعلكم على كل حال لا تتهمون احداً من ساكني بيتنا ومستخدمي محلنا

فظهر شيء من الحياء والارتباك على وجه المستنطق ولكنه تجلد واجاب :

— ايتها الفاضلة اننا هذه الساعة لا نتهم احداً ولا نشك في احد ولكنها تخمينات بسيطة لا نستغني عنها في اوائل هذا التحقيق القضائي وهي تخمينات مبنية على اساس مقبول معقول سواء أطابقت الحقيقة ام لم تطابقها فلا بد لنا من تتبع طريقها الى ان يتبين لنا غثها من سمينها

قال المستنطق ذلك ثم اعاد على مسمع مرغريت ما عرفوه من الدلائل على ان زائراً زار المسيو جومين بعد صعوده الى غرفته وان هذا الزائر لا بد ان يكون موضع ثقة من المزور وان يكون عالماً بوجود الخنجر في الغرفة لارتكاب فعلته وبما انه موضع ثقة من المسيو جومين قام هذا على مرأى منه الى خزانته الحديدية وفتحها فانقض عليه من ورائه وفتك به بذلك الخنجر

ثم انتشل من المال ما وصلت اليه يده وفرّ هارباً

فقالت مرغريت لا اوافقكم ان احداً زار زوجي او ان زوجي قبل زيارة احد بعد منتصف الليل ونحن لم نشعر بهذه الزيارة مطلقاً . ولكني مع ذلك لا انكر ان استدلالكم معقول وانتم معذورون في التشبث به

فسألها المستنطق ان تذكر له كلمة اجمالية عن سيرة كل من الخدم والمستخدمين الذين عندها

فاجابت : ان عددهم قليل وكلهم حسنو السيرة لا مجال لسوء الظن في احدهم . فعندنا في البيت خادمة عجوز اسمها مانيتا بسيطة القلب والمدارك اكبر سناً من زوجي بخمس عشرة سنة وهي التي ربته وحملته واحتضنته عدة سنوات يوم كان طفلاً وصبياً . وزوجي كان يعدها له اماً ثانية ، والمسكينة في هذه الساعة مجنونة من الحزن او شبه مجنونة لهول الصدمة التي اصابتها في آخر ايامها بسيدها الذي ربته

— والمستخدمون في محلكم . ما قولك فيهم

عندنا امينة الصندوق ايلوديا وهي فتاة مستخدمة عندنا منذ سنين عديدة ولم ننكر شيئاً من امانتها واجتهادها في العمل . وعندنا رئيس المستخدمين المسيو جاك تيرتر وهو شاب برهن لنا في كثير من المواقف على حبه واخلاصه وغيرته على مصلحة المحل . ويقاربه في حسن السيرة المستخدم لويس وخادم المخزن كور اشون

— أليس بين مستخدميكم وسكان منزلكم غير هؤلاء ؟

فظهر على وجه مرغريت شيء من الامتعاض والحيرة وقالت : بلى عندنا المسكين عمانوئيل

— من عمانوئيل هذا

— هو ابن عمي زوجي من زوجته الاولى اي اخوها . انه شاب في العشرين من عمره مختل الشعور ، ولا اقول مجنون ، وليس في اختلال عقله خطر على احد فهو هادئ لا يبدي ولا يعيد ، وربما قبع في زاوية من غرفته ساعات متوالية لا يكلم احداً ولا يكلمه احد وربما تلهى باغانٍ يغنيها بصوت منخفض

— لمَ لم يرسله المسيو جوميني الى المستشفى ففي ارساله الى هناك خير للعليل ولكم

— لم يرسله الى المستشفى لانه لا امل بشفائه ولان زوجته الاولى اوصته ساعة موتها ان يبقيه عنده وانا بعد حضوري الى هذا المحل وافقت على ذلك شفقةً على المسكين وجعلت احتمالي جواره ومعاشرته بمثابة شكر مني لله عزَّ وجل الذي انتشلني من بين براثن الفقر والشقاء الى مقامي الرفيع بزواج المسيو جوميني . وكنت قبل ذلك فقيرة مضطرة الى العمل لكي اعول نفسي واعول اخاً واختاً لي صغيرين تركتهما في مسقط رأسي ولا معين لهما سواي

فخجل المستنطق ورفاقه لانهم اضطروها الى الافضاء بهذه الاسرار العائلية ، واعتذروا اليها عن ذلك . ثم سألها مفوض

الشرطة كيف اميال الشاب عمانوئيل نحوك ونحو صهره المرحوم جوميني

— انه يحبني ويلازمني في بعض الاحيان ملازمة الكلب صاحبه ولا يعصي لي امراً ولا اشارة كأن المسكين احس بعطفي عليه وعدم رضائي بخروجه من بيتنا فاخذ يكافئ الخير بالخير. وهو ايضاً محب لصهره ومع حبه يتهيبه وربما سوّلت نفسه له احياناً ان يتمرد عليه في بعض الامور كما يفعل الصبي الصغير امام ابيه وامه

وعند ذلك نهض القوم للانصراف واعدين الزوجة ببذل اقصى الجهد في سبيل معرفة الجاني الاثيم وقدموا لها عبارات التعزية ومشاركتهم لاحزانها. ونزلوا السلم وهم المستنطق فالمدعي العام ففوض الشرطة فكاتب المستنطق

واما مفتش الشرطة لكرانج فكان في مؤخرتهم ولما توسط السلم عاد ادراجه ليأتي بقبعته التي نسيها او تناساها في الغرفة ولما بلغها تقدم من السيدة مرغريت وسألها همساً بسرعة — أكان المسيو جوميني معتاداً التدخين

— كلا. بل كان يكره التدخين كل الكراهة

استغربت الارملة منه هذا السؤال الفجائي المبتور ولكنها اجابته عليه فشكرها ولحق برفاقه

٤

— كلمة في مستخدمي جوميني —

على اثر مقتل المسيو جوميني قالت الآنسة ايلوديا في سياق حديث لرفيقها المسيو جاك وهو المستخدم الاول في المحل :

ان موت المسيو جوميني وان ساء ارملته يفيدها من الجهة المالية فائدة عظيمة . فلم يشأ جاك ان يوافق محدثته على هذه الوخزة بل حوّل مجرى الحديث ثم انقطع عنه وانصرف الى عمله

اما ايلوديا هذه فقد دخلت محل جوميني على اثر وفاة زوجته الاولى وكان سن الفتاة ثلاثاً وعشرين سنة . وهي كبيرة الجسم براقة العينين مع لحظات تدل على شيء من القسوة والخبث ، وادل من ذلك كانت ابتساماتها بعض الاحيان وضغطها على شفتيها الرقيقتين . ولكنها ذات ذكاء وفهم سريع مع جمال متوسط ومهارة في العمل وحسن تدقيق وترتيب في ادائه . وكان المسيو جوميني قد ادخلها محله تلبية لشفاعة احدى السيدات فيها وجعلها معاونة لامين صندوقه المسن المسيو فيربوا ، ولما آنس منها النشاط والذكاء صار يلاطفها في المحادثة حيناً بعد حين وقال في نفسه : لعلها تخلف امين الصندوق الشيخ حين يتوفاه الله . وبعد دخولها المحل بسنة توفي امين الصندوق ولكن جوميني لم يسلم مركزه

Digitized by Birzeit University Library

لها كما قد فكر في اول الامر لانه كان قد خف ميله اليها وقلل من ملاطفاته لها بعد ما شعر منها بطبع تصنع وخبث ورياء ولكنه حافظ عليها لانها لم تكن مقصرة في شيء من واجباتها في اعمال المحل

وانما كان المسيو جوميني يميل الى المستخدَمين الآخرين عنده المسيو جاك اول المستخدمين ورفيقه المسيو لويس الذي كان شاباً طيب القلب حسن السيرة ولكنه مغتر بنفسه وبقدرته في العلم والادب مما يدعوه الى نظم شعر كان يظنه في منتهى البلاغة وما هو الا شعر ركيك سخيف . وكلما نظم شيئاً تلاه على مسامع رئيسه جوميني ورفاقه في المحل فيأخذ هؤلاء يتغامزون ويتضاحكون عليه وربما انبرى بعضهم الى الدفاع عنه حرصاً منهم على استدراجه الى دعاوٍ تضحكهم ، وانبرى البعض الآخر الى نقده وتزييف اقواله . هكذا كانوا يفعلون عندما تسمح لهم اعمالهم بمثل هذه المداعبات

واما جاك فكان شاباً ذكياً رصين الطبع كريم الاخلاق غيوراً على مصلحة سيده وكان سيده جوميني يميل اليه ميلاً خصوصياً ويثق به ثقة تامة لما تحققه من حسن سجاياه ومزاياه ولما يراه من سلامة ذوقه في الآثار الادبية وحسن تمييزه بين جيدها ورديئها ، وهذا الامر مولع به السيد جوميني كل الولوع كما سبقت الاشارة الى ذلك

وكثيراً ما كان يتبادل السيد ومستخدمه الاول الاحاديث

الطويلة العريضة بشأن هذا الكتاب وذاك ، وتقديم الشواهد والامثلة على ما في كل كتاب من حسن واحسن وقبيح واقبح . وهكذا اتخذ الرئيس والمرؤوس موضوع الادب والادباء والعلم والعلماء ينبوع محادثات ومحاورات لا ينضب معينه وكلاهما يجدان في ما ذكر لذة لا تعادلها لذة

وفضلاً عن ذلك كان جوميني يعطف على مستخدمه جاك كل العطف لانه واقف على دخيلة ما جرى له في حياته عارف ان الشاب على حداثة سنه اظهر ازاء ما نكبه به الدهر حزماً وعزماً يعز وجودهما الا عند اهل السن والحكمة والتجربة . فقد كان والد جاك ذا ثروة متوسطة تنفع العائلة نفعاً عظيماً في الجهاد الحيوي لو احسن المحافظة على تلك الثروة . ولكنه جازف بها على غير استشارة ولده الشاب ولا علم منه اذ اصغى لاغراءات وتشويقات بعض اصحابه وعارفيه فخاض في مضاربات البورصة ولم يلبث ان فقد ثروته كلها او معظمها

ولعل الشيخوخة وما يرافقها من ضعف التمييز او شدة الطمع هي التي حملت الوالد على ذلك المسلك الخطر فجنى واجنى ولده وزوجته ثمره الوبيل الوخيم . وهكذا قضى على مستقبل جاك الذي كان يعلل نفسه بالتحصيل العلمي العالي ودراسة الحقوق او الطب او نحوهما من الفنون العملية التي تقتضي من طالبها نفقات باهظة عدة سنوات . فاضطر جاك الى قطع مجرى آماله الاولى ودخل مستخدماً في مكتبة جوميني يعول من عمل يديه اباه وامه ونفسه بعد ما كانوا متمتعين باليسر ورغد العيش

Digitized by Birzeit University Library

فندم والد جاك على ما فعل اشد الندم واصبحت الحسرات اللاذعة تلازمه ليله ونهاره . واحس بذنبه الى ولده الشاب فأخذ يعتذر اليه عما فرط منه ويعرب عن اساه واسفه . واما جاك فلم تبدر منه كلمة واحدة في توبيخ والده ولا في معاتبته لكيلا يكسر خاطره ويزيده همًا وغمًا . بل كان يهون عليه ما جرى بلهجة بنوية ملؤها الحنو ومعرفة الجميل مما خفف عن الشيخ شيئاً من اللوعة . ولكنه مع ذلك لم يعش الا شهوراً قليلة ثم توفاه الله وفي تلك السنة نفسها لحقت به امرأته

وكانت هذه الطوارئ العائلية التي اصابت جاك تشبه في كثير من وجوهها ما اصاب مرغريت مع عائلتها في حادث آخر كان يؤلمها ، وقد كتمته حتى عن زوجها وهو الذي جعل لها مظهر الكآبة والغم مما لا يخفى عن الناظر اليها نظرة متأمل فطين . وهذا التطابق بين حياة مرغريت وحياة جاك مع تشابههما في الاخلاق وشرف السيرة جعل كلا منهما يميل ميل صداقة صادقة وميل اعجاب الى الآخر . وفي ذات يوم قال جوميني لزوجته : يخطر لي ايتها العزيزة ان اجعل جاك شريكي في عملي لاني اراه اهلًا لذلك ، وان لم يستطع تقديم رأس مال للمحل فذكاؤه وامانته ونشاطه تقوم مقام المال المطلوب . فوافقته زوجته على هذا الرأي

٥

هدية الاب ماريستو

احب المسيو جوميني زوجته الاولى حباً جمًّا فلما توفاها الله حزن عليها حزناً صادقاً . ثم لطفت الايام لوعته شيئاً فشيئاً كما هو شأن كل ملتاع مصاب، فتحول ذلك الحزن الشديد الى ذكريات كآبة كامنة في اعماق نفسه . وكان قد اجتاز طور الشباب يوم فقد زوجته، اذ بلغ الخامسة والاربعين من سنهِ ولكنهُ لتمتعه بعافية تامة ونشاط عجيب مع ما له من بشاشة وهشاشه وشمائل حلوة كان الناظر اليه يحكم انه لم تزل مسافة طويلة بينه وبين ضعف الشيخوخة ومكارهها

تلهى باعماله وانتبه الى معاونة امين الصندوق في محله الآنسة ايلوديا فآنس فيها لطفاً وذوقاً وذكاء فأخذ يلاطفها باحاديثه حيناً بعد حين فسرها منه ذلك وحسبته على عتبة التعلق بحبها الذي اذا صح افضى الى الزواج بينهما . فجعلت تتأنق في حديثها وحركاتها وسكناتها وتتكلف الامور امامه تكلفاً لا يخفى على بصيرة من كان مثله وان خفي على كثير من الناس غيره

وفي جملة تكلفها انها كانت تتظاهر بالسرور العظيم عند ملتقاها برئيسها جوميني وبالغم والكرب عند انصرافه عنها . فاحس جوميني منها بمظاهر الرياء هذه واحس من عدة دلائل ظفر بها ان

الفتاة فيها انانية ومحبة ذات مع عجز عواطفها مما لا ينطبق على لطف ظاهرها واساليبها . فنفر منها فؤاده واخذ ينقطع بالتدريج عن التحدث معها الا فيما يختص بوظيفتها عنده . فساءها منه هذا الجفاء ولكنها اظهرت الجلد واخفت الكمد ولم تعلم ما الداعي الذي دعاه الى الزهد فيها بعد سابق اقباله عليها . ولم يخطر ببالها ان مساوئ اخلاقها هي ذلك الباعث . لم يخطر لها ذلك على بال لانها كانت شديدة العجب والخيلاء . لا تعد نفسها الا مجموعة محاسن ومكارم . . . . ولولا علمها بشرف سيرة جوميني وبساطة معيشته وروحانه وجيناته لقدّرت له فتاة اخرى اعلقته بفخاخ هواها وصرفته عنها

وفي تلك الاثناء توفي امين الصندوق المسن في محل جوميني واملت الفتاة ايلوديا معاونته ان تحل محله . وفكر في ذلك صاحب المحل نفسه ، لانه وان لم يرضَ عن اخلاقها لم يكن ساخطاً عليها من جهة شغلها عنده بل كان يعترف لها بالامانة والنشاط والتدقيق فيه

ولكنه قبلما يعينها لهذا المركز الجديد او يعدها به حدث ما صرفه عن ذلك . اذ زاره ذات يوم رجل مسن من اصدقائه هو الاب ماريستو وكان من خيرة الكهنة بساطةَ قلب وورعاً وغيرة على مساعدة الفقراء والمحتاجين . وهو رجل جلل الشيب رأسه ، واراد رؤساؤه ترقيته في الدرجات الكهنوتية فأبى ذلك تواضعاً منه وايثاراً لمظاهر البساطة في معيشته . وطالما زار هذا الاب الجليل المسيو جوميني لاجل استدرار حسناته على بعض المحتاجين فيبادر

جوميني الى البذل بكل سرور وارتياح . فلما جاءه المرة الاخيرة التي اشرنا اليها هنا خف لاستقباله باشاً في وجهه حسب عادته . وبعد ما تبادل الرجلان عبارات التحية التفت جوميني الى ضيفه قائلاً :

— اي ريح طيبة ايها الاب الموقر دفعتك الينا هذا النهار . لعلك ظفرت ببائس جديد يحتاج الى المساعدة . اني رهين اشارتك في كل ما هو من هذا القبيل

— كلا ليس لاجل ذلك زيارتي لك اليوم

— فلاي شيء اذن ؟

— فظهر الارتباك على وجه الكاهن واجاب جليسه متلعثماً :

جئتك يا عزيزي جوميني . . . . جئتك . . . جئتك لكي . . . لكي اقدم لك هدية . . . نعم هدية . هدية

فلم يسع جوميني الا ان يضحك من تلجلج الاب ماريستو وحيرته في التعبير عما ينويه . وقال له :

— ما الهدية التي تعنيها ايها الاب الكريم

— الم يمت امين صندوقك الشيخ ؟

— نعم . او لست انت الذي صلى على جنازته ؟

— اذن انت تحتاج الى من يحل محله . وقد جئتك طالباً هذا المحل

فعاد جوميني الى ضحكه وقال :

— لم افهم مرادك يا ابانا . افتكون انت امين صندوق عندي ؟

Digitized by Birzeit University Library

— انا ؟ . . . انا ؟ . . . انت تعلم اني لا اصلح لشيء من هذه الاعمال . ولو عينتني في محلك لاي عمل كان . . لاضطررت ان تطردني غير مأسوف علي بعد يومين من تاريخ تعييني

فلمن تطلب مركز امانة الصندوق عندي ؟

— لمن تصلح له . لفتاة شريفة امينة نشيطة . هذه هي الهدية التي جئت اعرضها عليك اليوم

٦

الفتاة ايلوديا وحنقها

استغرب جوميني من الاب ماريستو هذه اللهجة الحماسية في مدح الفتاة التي جاء من اجلها . وهي لهجة لم يعتدها منه قبل ذلك اليوم وتستغرب ممن كان مثله معروفاً بالحشمة والتهيب . فقال له : اموقن انت ان الفتاة التي تحدثني عنها هي في هذه الطبقة من الفضل والسمو ؟ فاجابه :

انها فوق ما اذكره لك . انها اذا اردنا اختصار القول يتعذر او يتعسر وجود من تضارعها في طول هذه البلاد وعرضها مبتدئاً من باريس منتهياً الى رومية

— هل لك ان تذكر اسمها وتطلعني اجمالاً على اصلها وفصلها

— اسمها مرغريت ماري من آل دوفيرنوا الساكنين في ضواحي

باريس . كان ابوها في اواخر ايامه ضابطاً متقاعداً من ضباط الجيش الفرنسوي وعنده ثروة لا بأس فيها . فحلت به نكبة عائلية افقدته ثروته وجعلته فقيراً مع اهل بيته بين صباح ومساء . واما سبب تلك النكبة فهي امر خصوصي لا سبيل لاطلاع احد عليه

ولما افتقر الرجل توفيت زوجته هماً وغماً وبعد شهرين لحقها الى عالم الارواح وبقيت ابنته مرغريت بلا مساعد ولا معين وبقربها اخوها واختها الصغيران فهي مضطرة ان تشتغل وتتعب لاجل معيشتها ومعيشتهما . وقد ارسلتها الى باريس ابنة عم لي هناك تعرف الفتاة حق المعرفة وزودتها بكتاب توصية لي بها وقد افعمت الكتاب بعبارات الثناء عليها والحت لي على مساعدتها وجبر خاطرها . وقد اختبرت انا صدق كلامها لما عرفت الفتاة ولازمتني هذه الايام واما ابنة عمي صاحبة التوصية فهي رئيسة دير في تلك الجهات

فتردد جوميني في اول الامر بقبول مرغريت امينة صندوق عنده بحجة ان هذا المركز اولى به الفتاة ايلوديا الذي تنتظره من زمان طويل واعتذر بما ذكر الى الاب ماريستو وهو يود ان يلبي طلبه بتعيين مرغريت اذ رجح عنده فضلها واستحقاقها استناداً الى تلك الشهادات الحسنة بشأنها من قبل الكاهن وقبل رئيسة الدير ابنة عمه

ولما علم الاب ماريستو ان جوميني لم يتقيد مع الفتاة ايلوديا بوعد في سبيل ترقيتها الى امانة الصندوق عاد الى الالحاح واستعمل

Digitized by Birzeit University Library

اقصى ما له من دالة الصداقة عليه ضامناً انه اذا ابى طلبه لا يتحسر ولا يندم

فاطرق جوميني مفكراً في حل المشكل ثم عنّ له ان يحلله على هذه الصورة : يسلم المركز الى مرغريت ويزيد لها مرتبه . ثم يعوض على ايلوديا بزيادة مرتبها حتى يبلغ ما كان يقبضه منه امين الصندوق المتوفى . وبعد سكوت دقيقتين قال لزائره

— قبلت طلبك ولكن على شرط

— ما شرطك ؟

— ان لا تشكرني بكلمة واحدة على قبولي الفتاة مرغريت

فتبسم الكاهن المسن وقال : بل عليك انت ان تشكرني لاني قدمت لك هدية ثمينة نفيسة

فاجابه على ابتسامته بابتسامة مثلها وقد وقعت عبارته تلك من قلبه موقعاً حسناً . وبعد بضعة ايام جاءت الفتاة مرغريت واستلمت مركزها الجديد في مكتبة جوميني . فلاقتها الفتاة ايلوديا بكل ترحيب ولطف وان كانت نار الحسد والضغينة تلهب احشاءها لانها عدتها معتدية عليها بتخليصها مركزاً انتظرته ورجت نيله . ولم ترضها زيادة مرتبها وان تظاهرت بالرضى وشكرت رئيسها على تلك الزيادة . اما مرغريت فنفر قلبها من ايلوديا في اول الامر ولكنها لم تلبث ان كذبت حسها وتخمينها لما رأته من ظواهر الود والوداعة منها . وكانت ايلوديا تود ان تعرف دخائل تلك الرفيقة الجديدة وما في ماضي حياتها من اسرار . فلما لم تفض اليها تلك بشيء من ذاك قالت في نفسها لا شك انها خبيثة مريبة

Digitized by Birzeit University Library

وان تظاهرت بالفضيلة وشرف السلوك . ولعل ما يظهر عليها من علامات الهم والغم منبعث عن فشلها في حب احمد الشبان الذي اقبل عليها قبل ان يفقد ابوها ثروته فلما فقدها اعرض الشاب عنها . وبعد عدة شهور انتشر في محل جوميني خبر كان وقعه على الفتاة ايلوديا كوقع الصاعقة وموداه ان المسيو جوميني راقت الفتاة مرغريت في عينيه وعزم على اتخاذها زوجة له وشريكة لحياته

٧

قبيل الزواج

لم يكن احد في محل جوميني منتظراً ذلك الخبر ولا شاعراً بهذا الامر قبل حدوثه ولو بيوم واحد . ما عدا صاحب المحل نفسه . فان المسيو جوميني من يوم دخلت الفتاة مرغريت محله واستلمت فيه وظيفة امانة الصندوق جعل يراقبها في كل احوالها واقوالها واعمالها مراقبة دقيقة من حيث لا تشعر . وكان للرجل نظرات نافذة في اعماق النفس البشرية واخلاقها من صالح وطالح ، وهو عند التحقيق كريم العواطف رقيق الشعور حساس بالجمال والفضيلة الى حد بعيد خلافاً للمألوف المعروف عن امثاله من رجال العمل والجد والكد الذين تعودوا ان يستغرقوا في المشروعات وهم الربح والخسارة استغراقاً لا يبقى معه الا فضلة ضئيلة جداً لصوت القلب والعاطفة . ومن ثم اولع المسيو جوميني شيئاً فشيئاً بملاحة مرغريت

ومعانيها الجذابة ولطف حديثها وصدق لهجتها ونبل مبادئها ، هذا فضلاً عما لها من معارف اكتسابية وذكاء ومهارة في العمل . وبالجملة رآها مجموعة محاسن كما وصفها له الاب ماريستو حاميها وكاهن اعترافها ، وعهده بهذا الرجل رصين الطبع حصيف العقل لا يتعجل في حكمه وشهادته لاحد من الناس ولا عليه

تقدم جوميني من مرغريت ذات يوم وقال لها :

ارجو ان توافيني بعد نصف ساعة الى مكتبي في الطابق الاعلى فان لي كلاماً معك فقالت له :

سمعاً وطاعة يا سيدي

ولما صعدت الى غرفته في الطابق الاعلى وجدته يتمشى فيها جيئة وذهاباً بخطوات سريعة وعلامات الاهتمام ظاهرة على وجهه

رحين رآها داخلة اشار اليها بالجلوس على احد الكراسي فجلست وجلس قبالتها . وبعدما سكت هنيهة افتتح الحديث بلهجة فيها رعشة لسان وامارات ارتباك وحياء مما استغربته من رئيسها . فلم يكن هذا الشأن شأنه مع اي كان من الناس فكيف مع فتاة مسكينة مستخدمة عنده . ابتدأ حديثه قائلاً :

— عرفتك تمام المعرفة ايتها الآنسة ولعلك عرفتني مثل ذلك . قبل الخوض في الحديث اعدك اني لا اقصد بما اقول امراً يسوءك او يجرح خاطرك ويهين كرامتك او يخدش لك اذناً

— شكراً لك يا سيدي وهل انتظر منك غير ذلك

Digitized by Birzeit University Library

اجابت هذا الجواب وقد امتقع وجهها واحست انه استدعاها لامر عظيم يخصها . ولكنها لم تعلم ما هو ولا حامت ظنونها حواليه . وعاد الى مخاطبتها قائلاً :

— ان حاميك وكاهن اعترافك الاب ماريستو ، وهو من اكرم الاصدقاء علي ، كان قد اثنى على ادبك وفضلك ثناء جمًّا . وانتظرت سلفاً ان يكون حكمه بشأنك صحيحاً ، لما اعلمه من صدق الرجل وحصافة عقله . ولكني مع ذلك لم اكتف بمجرد قوله بل اخذت اراقب سيرتك واحوالك منذ دخولك محلنا اي منذ بضعة اشهر . فلم تفدني المراقبة الا زيادة يقين بتلك الشهادة الطيبة . وعلاوة على كرم الخلق وجدت فيك ملاحة خلقة ولطف تحيه الجرأة او جرأة يزينها اللطف . فمال قلبي اليك واحببتك

فما كاد يلفظ هذه الكلمة حتى احمرت وجنتا الفتاة خجلاً ونهضت عن كرسيها كأنها تهم بالانصراف . ولكنه اعادها بيده الى مقعدها وقال لها مبتسماً :

ما اضعف ذاكرتك ايتها الآنسة ! ما الذي دعاك الى هذا النفور وهذا الاجفال ؟ الم اقل لك الساعة ان ما تسمعينه مني لا يحط كرامتك ولا يخدش اذنك . نعم اني احبك ولكنه حب كريم شريف ليس وراءه غش ولا مطمع دني . فلك الحق ان تقبلي مني هذا الحب او ترفضيه . ولكن لا حق لك ان تحتقريه وتظني فيه سوءاً . احبك واراك اهلاً ان تكوني لي زوجة فهل ترضينني بعلاً

فازداد وجه مرغريت حمرة وكادت العبرات تخنقها ، وظلت

ساكتة . فاعاد عليها السؤال قائلاً هـل ترضينني بعلاً ؟ قولي نعم او لا

فقالت : غداً اعطيك الجواب

ثم استأذنته بالانصراف وانصرفت

ولما شاع خبر زواجها اشتد حنق الفتاة ايلوديا عليها وحسدها لها . وقالت في نفسها تبًّا لها من حية رقطاء متخذة هيئة الملائكة زوراً وبهتاناً . لقد سلبتني مركزي في المحل . ثم سلبتني رئيس المحل وكان ميالاً اليَّ يفكر بي انا لا بها ولا بغيرها . غداً ستصبح مولاتي ورئيستي بعد ما كانت رفيقتي . بل بعد ما كانت ذليلة شبه طريدة شريدة في هذه العاصمة وانا اعز منها جانباً واسمى مرتبة . تبًّا لها ! لعل الزمان يمكنني من الانتقام

٨

مشاورة الاب ماريستو

أجلت الآنسة مرغريت جوابها للمسيو جوميني الى اليوم التالي بقصد ان يتسع معها الوقت وتذهب الى الاب ماريستو وتشاوره في هذا الامر العظيم . لانها على ما تشعر به من قوة العقل والتمييز لا تستصوب الاستبداد برأيها في امر خطير كأمر الزواج بل تحس انها تحتاج فيه الى رأي مخلص خبير . وهي تكاد لا تعرف في عاصمة التمدن ومدينة النور باريس الا ذلك الاب الجليل وقد

حمدت مغبة آرائه في عدة امور واتخذته في دار غربتها بمثابة ابويها اللذين فقدتهما

هرعت الى منزله فرحب بها . وما عتم ان رآها مضطربة قلقة . فراعه منها ذلك وسألها :

ما بالك يا بنية . هل وراءك خبر مشؤوم . هل اصيب اخوك الصغير او اختك الصغيرة بمرض ما ، لا سمح الله ؟

- كلا يا ابي فالصغيران بخير . ومنذ يومين جاءني من جهتهما كتاب يدعوني الى الاطمئنان عنهما

— فبشأن من انت مضطربة ؟

— بشأن نفسي

— هاتي ما عندك واتكلي عليَّ في كل امر

فتوقفت مرغريت عن الكلام قليلاً ثم ملكت امرها وقالت :

صبيحة هذا اليوم انفرد بي المسيو جومينيي في عليته ، وفاتحني في امر لم اكن انتظره ولا افكر فيه البتة . ولذلك راعتني مباغتته وتركتني في حيرة عظيمة . قال انه يحبني وانه يود الزواج بي ، ثم سألني أأرضى انا بذلك

— وماذا كان جوابك ؟

— استمهلته في الجواب الى الغد

— ولمَ هذا التأجيل

— لكي آتي واستشيرك . فما رأيك ؟

— انك بهذا السؤال تحمليني تبعة ادبية عظيمة

Digitized by Birzeit University Library

— لا بد لك من تحملها فانك عندي بمقام اب وام ولو كانا حيين لاستغنيت عن استشارتك والاستعانة بك في هذا الشأن

— اصبتِ وصدقتِ

قال ذلك واطرق مفكراً ثم رفع رأسه وسأل الفتاة

— اتحبين انتِ يا ابنتي المسيو جوميني ؟

فاحمر وجهها حياء ثم اجابته

— كلا يا ابانا ! اني لا احبه ولا احب غيره من الناس الحب الذي يقصد منه الهوس والغرام . ولكني اكرمه واعجب به . ولا يكون وراء الاكرام والاعجاب الا ميل قلب صادق وان لم يبلغ مبلغ الهوس والهيام . وعدم هيامي بالمسيو جوميني هو اكبر سبب دعاني الى التردد في قبوله زوجاً . فقد يكون من الغدر او شبه الغدر ان رجلاً يطلبني شريكة لحياته بعواطف حب وصبابة ليس عندي منها نحوه ما عنده نحوي

— بارك الله فيك يا بنية هذا منتهى الحرص على مبادىء الحق والعدل . ولكن حذار من المبالغة في ذلك . قلتِ لي انك لا تكرهينه

— كلا . كلا . فالرجل لا يستحق كراهتي من احد

— وقلتِ انك تميلين اليه ميل اكرام واعجاب

— نعم

— اتقدرين ان هذا الميل تنميه المعيشة الزوجية بينكما وتحوله الى حنو وغيرة منك عليه ؟

— اقدر ذلك بل اتوقعه اذا اصبحت له زوجة

— وتقدرين انك تكونين سعيدة معه ؟

— نعم

— بما ان شعورك هو هكذا وبما ان قلبك غير متعلق بحب احد ، وبما ان المسيو جوميني في ثروته وجاهه وكرم اخلاقه يحسب من خير الازواج ، فلا معنى لترددك في قبوله زوجاً . اجيبيه بالايجاب يا ابنتي والله المسؤول ان يبارك قرانكما

فنكست رأسها اشارة الطاعة ثم سألته :

— ايترتب علي ان اطلعه على ما انت وحدك تعلمه من مسألتنا العائلية

— لا واجب عليك في افشاء ذلك . لانه من اسرارك الخصوصية ولا علاقة له بالزواج بينكما

وبعد هذا تحادثا قليلاً في متعلقات هذا الطارئ الجديد . وفي اثناء الحديث قال لها الاب ماريستو : لا شك عندي ان حشمتك وبعدك عن التكلف والتصنع مما زاد رغبة المسيو جوميني فيك واطمئنان نفسه الى اتخاذك شريكة لحياته . لاني اعرف طباعه كل المعرفة . وها قد تحقق ما قلته له على اوسع مداه . قلت له يوم كلمته عنك انني اقدم له هدية . واي هدية اثمن عند الرجل واعظم شأناً من الزوجة الجميلة الامينة الذكية الشريفة التي تضمن له هناء العيش وصفوه ؟

٩

زواج مرغريت . حادث للابله عمانوئيل

عقد قران المسيو جوميني على الآنسة مرغريت بعد ذلك الموعد بنحو اسبوعين وكانت حفلة العرس شائقة مفعمة بهجة وحسن ذوق وترتيب مع دلائل السخاء والجاه . وهكذا اصبحت مرغريت تسمى السيدة جوميني ، ينظر اليها اولئك الاتباع والمستخدمون كما ينظرون الى زوجها بعين الولاء والاكرام والاحترام مع الاستعداد لطاعتها وطلب رضاها في كل ما تروده منهم ، وان كانت الفتاة ايلوديا من بينهم قد شذّت عنهم باطناً مع مجاراتهم في صدق ولائهم ظاهراً

انتقلت مرغريت من الفقر الى الغنى ومن الذل الى العز ومن الضعة والخمول الى الجاه العريض ومن الهم الآكل اللاذع الى راحة البال والاطمئنان . وقد جرى هذا الانتقال العظيم قبلما يحول عليها حول كامل . فامتلأ فؤادها بشراً وسروراً وزاد في عينيها الاب ماريستو سمو مقام لانه مسبب هذه السعادة باذن ربه وربها . ولم تلبث ان تعلقت بزوجها المسيو جوميني تعلقاً صادقاً منشأه معرفة الجميل والاعجاب بكرم اخلاق القرين وحسن معاملته لها ، ثم تحول هذا التعلق الى حنو عظيم منها عليه حسبما توقعت لنفسها وتوقع لها الاب ماريستو . وكثيراً ما كانت تتأمل في ماضيها القريب

العهد وفي حاضرها فتتذكر كيف قدمت الى باريس تقدم رجلاً وتؤخر اخرى ودموع الذل والفقر في عينيها والهم والغم طي ضلوعها مع جرح كرب عائلي نعّار كانت تكتمه عن الناس وكيف كانت ترى نفسها غريبة مجفوّة في تلك العاصمة العظيمة المهيبة. تتذكر هذه الامور وتفاصيلها الكثيرة فتكاد لا تصدق ما تراه امامها وتظن انها في حلم ذهبي جميل لا تلبث ان تخرج منه الى عالم اليقظة الهائل فتعود الى مسكنتها وفقرها ومخاوفها وهمومها. حتى اذا علمت علم اليقين ان الامر حقيقة راهنة لا حلم ولا وهم اوحى اليها قلبها ان الدهر الغدار ليس هذا الشأن شأنه فلا بدّ ان يقلب لها ظهر المجن ويحول افراحها الى اتراح وصفاء عيشها الى كدور بحادث ما فجائي مسطور في عالم الغيب. تحس بذلك وتوجس منه خيفة وهي في ظاهر الامر لا ترى له مسوغاً ومع ذلك تحاول دفعه عنها حاسبة اياه وساوس شيطانية فلا يفارقها يوماً حتى يعاودها في يوم آخر

وكان الشاب الابله عمانوئيل شقيق زوجة جوميني الاولى قد أنس بها والفها من يوم كانت مستخدمة في محل صهره. ثم زاد ميله اليها وتعلقه بها بعد زواجها. وكأنه احس انها لو ارادت ابعاده عن المنزل الى احد المستشفيات حسبما عرض عليها جوميني ليريحها من عشرة ذلك الشاب المختل الشعور لاستطاعت ذلك ولما اضطرت الاّ الى كلمة واحدة. ولكنها شفقت عليه ورأت ان احتمال عشرته لا يحسب شيئاً كبيراً من المزعجات في جنب ما يترتب عليها شكراً لله على النعم السابغة التي سربلها بها واسبغها عليها عن اسهل

السبل واشرفها

وهكذا كان عمانوئيل يلازم مرغريت احياناً ساعات متوالية جالساً بقربها وهي تطرز او تكتب او تعزف على المعزف اي البيانو او تطالع كتاباً او نحو ذلك . ولم يكن يعصى لها امراً ولا اشارة . مع انه كثيراً ما عصى صهره جوميني نفسه على ما له عنده من المحبة والهيبة . وكان هذا الشاب الابله على عكس امره مع مرغريت ينفر من الفتاة ايلوديا وينظر اليها نظرات بغض وغضب . وكانت ايلوديا تحس منه بذلك وتحسب له حساباً كلما دنا منها فتحتاط لنفسها ويصفر وجهها خوفاً منه

واتفق ذات يوم ان عمانوئيل دخل على جوميني فوجد على المنضدة ذلك الخنجر الذي اشرنا اليه في فصل سابق وكأنما قد راقه لمعان نصله وزخرف مقبضه فأخذه وفر به سريعاً نازلاً الى المكتبة . ورآه جوميني ومستخدمو المحل على تلك الحالة فخافوا ان يطعن به نفسه او غيره . فبادر جوميني راكضاً اليه لكي ينتزع منه الخنجر ولكن الابله لم يشأ التخلي عنه فهدر وتمتم وبرقت عيناه وجعل يلوح بالخنجر يميناً وشمالاً علامة تهديد ، وجوميني مواصل السير نحوه . فاستوقفه رئيس المستخدمين المسيو جاك وقال له :

رويدك يا سيدي . فانه عادم الادراك والتمييز ولا يستغرب منه ان يطعنك ويقتلك

وهكذا علت الضجة في المحل . واما الفتاة ايلوديا فكادت تسقط من شدة الخوف وهربت الى زاوية اختبأت فيها

وسمعت السيدة مرغريت الصوت والجلبة فاسرعت الى

المكان ورأت زوجها حائراً في امره والابله على تلك الحال . فدنت منه باشة ثم اشارت اشارة عتاب وتوبيخ فهدأت ثائرته وسكن سكوناً عجيباً . ثم طلبت منه الخنجر فسلمه لها فوراً وعادت به ادراجها ودلت الابله على غرفته الخصوصية لكي يدخلها فدخلها من تلقاء نفسه

فاستغرب الحاضرون هذا المنظر وهذه السطوة من السيدة على ذلك المسكين . وقال المستخدم لويس لجاك : انه لمشهد جميل عجيب يستحق ان انظم فيه قصيدة او اضع فصلاً تمثيلياً

ولويس هو الشاب المولع بالادب على غير مقدرة فيه ، وان توهم من نفسه القدرة . وقد اشرنا الى شأنه هذا في موضع آخر . ولما سمع جاك كلمته ابتسم ابتسامة لا تخلو من تهكم واجاب لويس :

لك يا صديقي ان تفعل ما تشاء

واما الفتاة ايلوديا فقد زادها هذا الحادث حسداً للسيدة مرغريت وحنقاً عليها

١٠

من اي جهة يبدأ التحقيق ؟

ظل رجال القضاء على حيرتهم وارتباكهم في قضية مقتل جوميني . وقال المستنطق المسيو كورسيل انها قضية اعقد من ذنب

الضب لا يعلم من اي جهة يبدأ تحقيقه القضائي فيها مع كل ما بذله من التفكير الدقيق والبحث عدة ايام حتى احس بدوار في رأسه وتعب في ذهنه . ومما زاده حنقاً وغضباً ان بعض الصحف السيارة اخذت تذكر تلك القضية بشيء من لهجة التهكم مشيرة بالتلميح الى عجز رجال القضاء وتكذيبهم حسن ظن الناس فيهم وتعويلهم عليهم

ثم حاور في هذه المشكلة المدعي العام ومفوض الشرطة واستطلعهما ما عندهما من رأي وترجيح وتخمين . فلم يجد عند احدهما فائدة جديدة . فكل منهما مثله لم يكتشف شيئاً ولم يقر قراره على وجهة نظر معينة

واخيراً اراد الاستئناس بمحادثة الشرطي لكرانج في المعضلة نفسها لعله يطلع منه على بصيص نور ولو ضئيلاً . وكان المستنطق يعترف باطناً بذكاء لكرانج — ذلك الشرطي الصموت — وبدهائه في مثل هذه القضايا، الامر الذي برهن عليه في عدة مواقف . ولكن المستنطق مع ذلك لم يكن ميالاً الى رجال الشرطة بل كان ينفر منهم بعض النفور لاسيما بعدما سبقوه الى كشف الحقيقة في قضية مهمة سابقة وكأنهم بذلك اخزوه قليلاً وعبثوا بعض العبث بسمعته وشهرته

دعا المسيو كورسيل الشرطي لكرانج الى مكتبه وتفاوضا ملياً في القضية المعهودة . ولكن لكرانج كان حسب عادته وطبيعته كثير الصمت قليل الكلام مما ساء جليسه فقال له :

— لكرانج لماذا لا تفضي الي بما عندك من هذا القبيل؟

— ليس عندي منه يا سيدي شيء جديد لا تعلمه

— افلم تبحث وتحقق في هذه الايام كلها ؟

— بلى

— وما الذي وصلت اليه؟

— لم اصل الى نتيجة حاسمة ولا شبه حاسمة بل هي تخمينات وافتراضات

— ما عساها ان تكون ؟

— لا استحسن كشفها لاحد منذ الآن لانها لم تزل بعيدة النضج فقال المستنطق بشيء من الحدة :

— هذا دأبكم معنا يا رجال الشرطة تهمكم المباهاة الفارغة اكثر من خدمة الحق والعدل والقيام بواجباتكم . فلا تدعون فرصة تظنون من ورائها اظهار فضلكم ومهارتكم الا اغتنمتموها دون ان تشاركونا في معلوماتكم لكي نضمها الى معلوماتنا ونسعى معاً الى احقاق الحق وازهاق الباطل

— قد يكون هذا المبدأ مبدأ غيري من رصفائي واما انا فبعيد عنه

ثم عادا الى التباحث فثبت عندهما كما ثبت اول مرة عندهما وعند رفاقهما ان المجرم ينبغي ان يكون غير غريب عن منزل القتيل ومكتبته

وقال لكرانج في سياق البحث : ان الغرفة التي فيها جوميني لا يفضى اليها الا من المكتبة او من باب واقع وراء السلم ومفتاحه

بيد غلام المكتبة كوراشون . وهذا الغلام لا يجوز ايقاع شبهة عليه لانه لم تبدر منه بادرة سوء من يوم استخدامه عند جوميني والمدة تبلغ ثلاث سنوات . وفي ليلة الجريمة نفسها كان قد سهر عند بواب المحل حسب عادته كل ليلة بعدما تناول الطعام معه ومع زوجته ، وقد اتفق معهما على الاكل عندهما مقابل اجرة شهرية ، ثم لعبوا هم الثلاثة بالورق وعند الساعة الحادية عشرة فارقهما وانصرف . والغلام فوق ما ذكر خاطب فتاة هو مولع بها واصبح ميعاد عرسه قريباً فلا يعقل ان يقدم على جريمة ويتعرض لخطر عظيم وهو في تلك الاحوال

قال المستنطق : هذا صحيح ولكن بقية المستخدمين حسب الافادات التي حصلت عليها لا يقلون عنه امانةً وبعداً عن اقتراف الجريمة . فلم يبق امامنا الا الشاب الابله عمانوئيل

فقال اكرانج : وهذا ايضاً يجب عدم التفكير فيه اذ علمنا بعد البحث انه يرقد في غرفته الخصوصية ويُقفل عليه بابها خوفاً من ان ينهض في جوف الليل وهو نائم ويجري على يده امر مكروه ، لان الشاب مصاب بداء الجولان في النوم

— قال المستنطق : اذن لم يبق امامنا الا . . . . انه لامر هائل

— اتريد ارملة القتيل ؟

— وهل بقي في الميدان سواها

— اني لا اوافقك مطلقاً على اساءة الظن فيها يا مولاي ، لانها ذات فضل ونبل

Digitized by Birzeit University Library

- ان شعوري بفضلها ونبلها لا يقل عن شعورك . ولكن أحكام العقل وقضاء الواجب يجب ان تتغلب على ضعف القلب . ولا تنس ان في بعض النفوس البشرية اسراراً مدهشة . فكأن تلك النفوس رياض جميلة نضيرة يسير فيها السائر فلا يلبث ان يصل فجأة الى هوة جهنمية تحتها

فهز لكرانج رأسه علامة الارتياب . ثم استأذن المستنطق بالانصراف فشيعه الى باب المحكمة ، الامر الذي لم يسبق منه قبل تلك الساعة اي قبل احتياجه الى الاستعانة بذلك الشرطي الحاذق

١١

خواطر المستنطق

انصرف الشرطي لكرانج من عند المستنطق المسيو كورسيل . وظل المستنطق وحده مستغرقاً في خواطره بشأن القضية ، يبني ويهدم ولا يتبين وجه الصواب . ومما زاد المسألة تعقداً في عينيه كون نطاق الشبهات فيها قد ضاق كما تقدم معنا بيانه حتى كاد ينحصر هذا النطاق حول مدام جوميني مباشرة . واذا قلنا مباشرة لم يبق بارزاً للعيان الا ارملة القتيل . ولكن كيف يمكن المسيو كورسيل ان يضرب صفحاً عن حسن سمعة هذه المرأة وعما يظهر

عليها من سمات الفضل والشرف والاستقامة في حديثها ولهجتها ومجمل هيئتها

فكر المستنطق في ذلك . ثم فكر انه مر تحت يده عدة قضايا قبلها في سنين متطاولة اظهرت نتيجتها فظائع وذنوباً ارتكبها رجال ونساء كانوا يحسبون من خيار البشر فاذا هم من شرارهم

ولكنه قال : ظهر من التحقيق ان الذي بعث القاتل على ارتكاب جريمته هو السلب اذ ان مبلغاً من المال ورقاً ونقداً سرق من خزانة القتيل على اثر قتله . واي مصلحة لامرأته في السلب وقد كان معها من اسخى الازواج على زوجاتهم . قدّم لها يوم زفافها نصف مليون فرنك ذهباً ، وجعلها وريثته الوحيدة . فقد فتحت وصيته بعد وفاته واذا به يوصي بكل ثروته لامرأته وتلك الثروة تبلغ مليوني فرنك ذهباً

اذن قرينة الحال من هذه الجهة تبعد التهمة عن المرأة

قال هذا واستأنف التفكير وناجى نفسه قائلاً : لعل باعثاً آخر بعثها على قتل زوجها وانما انتشلت هي ذلك المال من الخزانة او من كفته ارتكاب الجريمة لاجل تضليل رجال القضاء وابعاد كل شبهة عنها

ولما ضاقت في وجهه المذاهب بين نقض وابرام قال : لا بد لي من زيارة كاتب العدل المسيو لويل فقد كان للفقيد صديقاً حميماً ولعلي اطلع منه على حقيقة ما كان عليه القتيل وزوجته من العلاقات في معيشتها الزوجية

Digitized by Birzeit University Library

فزاره واستطلعه الخبر وعلم منه ان جوميني وزوجته كانا على اتم وفاق وصفاء عيش مع تبادل الثقة التامة بينهما. وسرد له على صحة حكمه شواهد كثيرة يعرفها فاسقط المستنطق في يده ورجح عنده ان توجيه التهمة الى الارملة بعيد عن الحق والصواب. فعلى من توجه التهمة اذن. ذلك لغز تنحل الارواح عناء فيه قبل ان ينحل. وقد احيا ليلة باسرها في التعليل والتأويل ومراجعة اوراق التحقيق. احيا الليلة فلم تحيِ له املًا

هذا والمسيو كورسيل رجل ممتاز في ذكائه وخبرته القضائية وشدة حرصه على اداء واجباته. ومآثره من هذا القبيل حجة تؤيد حسن سمعته وتشهد له بكرم الاخلاق فضلًا عن القدرة واللوذعية. ومن ثم اصابه كرب شديد لا مزيد عليه بسبب اخفاقه في تلك القضية الغريبة ولم ير بدًّا بعد انسداد السبل في وجهه من العودة الى جعل ارملة القتيل موضع افتراض وتخمين ان لم نقل موضع تهمة او شبهة مرجحة

١٢

خواطر شرطي

لم تكن حيرة مفتش الشرطة في قضية جوميني وجهده فيها دون حيرة وجهد المستنطق المسيو كورسيل. خرج لكرانج من مكتب المستنطق وملؤه افكار تتجاذبه ذات اليمين وذات

اليسار . ولم يكن يجحد قوة مستندات المستنطق في توجيه التهمة الى ارملة القتيل . ولكنه مع ذلك لم يكن يشاركه في هذا الرأي بل يقول : ان للامر دخيلة لم تزل محجوبة عنا . وان ظواهر القضية التي تضع السيدة مرغريت موضع الريبة لا بد ان تتبدد هباء منثوراً حين تظهر تلك الدخيلة ، والا فاين نذهب بفضل هذه المرأة وما يحدثني قلبي عن براءتها ولم يكذبني قلبي في حديثه قط ؟ وما الداعي لها الى قتل زوجها وهي الى جنبه متمتعة بكل خير ورغد معيشة وتعلم انها وريثته الوحيدة كما ظهر من وصيته بعد وفاته . فهو لم يشرك في تركته اقاربه الأبعدين . وقلما وجدت علاقات بينه وبينهم ولا هم انتظروا اشراكهم في الميراث ، ولما ظهرت وصية الميت لم يستغربوها ولا احتجوا عليها ولا استاؤوا منها . ومن المستبعد المجاور للمستحيل ان تكون السيدة مرغريت كارهة زوجها تود التخلص منه لتتزوج عشيقاً لها . فان سيرة هذه السيدة تكذب هذا الافتراض بل هذا الافتراء . لا بد ان ادافع عنها جهدي امام رجال القضاء كلما ارتابوا فيها

والصحيح ان الشك في تلك السيدة لم يقتصر على بعض رجال القضاء بل تجاوزهم الى بعض الصحف وجماهير من الناس . فقد كانوا يتهامسون بشأنها همسات خبيثة وكانت تلك الصحف تكتب تلميحاً لا تصريحاً ما ينطبق على تلك الهمسات

وكان لكرانج رجلاً ذكياً كتوماً متأنياً في مساعيه والجاثه افلح في كشف النقاب عن عدة حوادث مهمة وقضايا مبهمة ولم

Digitized by Birzeit University Library

يكن يفشل الا في القليل النادر وفي جملة ما اكتشفه بعد ما عجز عنه رصفاؤه ورجال القضاء امر عصابة لصوصية طالما تهددت الناس بالمخاطر . وقد حاز ثقة رؤسائه وثقة الناس معاً

وكان على تكتمه يفضي بشيء من اسراره الى امرأته وامه اللتين كان مولعاً بحبهما وله ثقة بما عندهما من الذكاء ورصانة الطبع والكتمان فيستأنس باستطلاع آرائهما حيناً بعد حين وربما استفاد شيئاً من الملاحظات في اثناء المحاورات بينه وبينهما

اطلعهما على ما يقاسيه من العناء في قضية جوميني واخبرهما بما يساور نفس المستنطق من الشك في ارملة القتيل . فصاحتا محتجتين على ذلك مستغربتين هذا الشك مع ما للسيدة مرغريت من سمعة شرف واستقامة . فقال لهما : هذا ما اراه انا ايضاً . ثم شرح لهما مستنداته في ما يراه ومستندات المستنطق . فحكمتا بان الصواب في جانبه . ثم قال : لا بد لي ان اغير وجهة البحث والتحقق واقلبها رأساً على عقب . ولعلي في خطتي الجديدة اتمكن من الوصول تواً الى اكتشاف الجاني بحيث اقوده بيديَّ الى امام المستنطق وبقية رجال القضاء . فنشطته امه وزوجته على انفاذ ما ينويه من كيفية البحث والاستقصاء . وقالتا له ان نجاحك في الامر سيحسب لك مكرمة عظيمة تفوق مآثرك السابقة فلا تستعظم عناء ومشقة في سبيل ذلك

١٣

ما قالته وفعلته مرغريت على اثر موت زوجها

بعد مقتل المسيو جوميني بيومين جاء الاب ماريستو الى منزله لكي يعزي مرغريت ويتفقد احوالها ويرى ماذا تحتاج اليه ويمكنه مساعدتها فيه بتلك النكبة الهائلة التي انقضت انقضاض الصاعقة على غير انتظار ولا موعد لقاء. واما مرغريت فكانت قد سدت بابها في وجوه الزائرين في تلك الايام العصيبة لشدة ما شعرت به من الاحتياج الى العزلة والتفكير والتدبير فلم تشأ ان تضيف الى ذلك هم استقبال الزائرين واضاعة الوقت سدى معهم وتكلف القيام بواجباتهم. ولكنها لم تعامل الاب ماريستو كغيره من الناس فان منزلته عندها غير منزلتهم وزيارته لها من غير نوع زياراتهم. وبناء على ذلك ارتاحت الى استقباله حين زارها كل الارتياح ورجت من وراء محادثته ومبادلته الآراء شيئاً من الفرج يكون كبصيص نور ضعيف في وسط تلك الظلمات المحدقة بها من كل جانب

عزاها الاب ماريستو بلهجته الابوية المعهودة وافاض في عبارات الاسف على المرحوم زوجها وصديقه ذاكراً سجاياه ومزاياه العديدة. ثم سألها قائلاً:

Digitized by Birzeit University Library

— يا بنيتي مرغريت ما الذي تنوينه بشأن محلكم الكبير وقد توفي عميده . لا اظنك تطيقين تسييره وادارته وحدك ، وان كنت ذات ذكاء ونشاط وقد اكتسبت شيئاً من الخبرة كافياً او قريباً من حد الكفاية باشغال المحل من يوم كنت امينة صندوقه الى ما بعد ان اصبحت سيدته وزوجة سيده . على اي شيء عولت من هذا القبيل يا بنية ؟

— عزمت ان احافظ على هذا المحل فلا ادعه يموت بموت صاحبه فقد كان عزيزاً على قلب مؤسسه المرحوم الى الدرجة القصوى . وكان يعده جزءاً من كيانه . فهو في عيني اقدس واعظم اثر من آثاره وذكرى من ذكرياته الطيبة . وليس من الوفاء له ان امحو هذا الاثر

— اصبت واحسنت . ولكن باي وسيلة ؟ انك محتاجة الى من يدير هذا المحل وان حفظت لنفسك حق الاشراف عليه

— هذا ما فكرت فيه يا ابانا وازمعت انفاذه

ثم اخبرته ان المرحوم زوجها قبيل وفاته كان قد افضى اليها بنية اشراك المسيو جاك في اعماله جاعلاً له حصة كبيرة من الارباح مقابل اتعابه وجهوده وان لم يستطع جاك تقديم شيء من رأس المال . وانها عزمت على انفاذ نية زوجها وتعيين جاك مديراً للمحل وجميع متعلقاته وجعل جانب من الربح له عوض المرتب الشهري بحيث يصبح شريكاً في المحل

وكان الاب ماريستو يعرف حق المعرفة المسيو جاك اول المستخدمين عند جوميني . فاثنى على ما له من استقامة وخبرة وقدرة

Digitized by Birzeit University Library

واستصوب ترقيته الى تلك المرتبة مما يفيده ويفيد المحل معاً

ثم انتقل الزائر ومزورته من ذلك الحديث الى حديث القضية المشؤومة فقالت مرغريت جواباً على سؤال زائرها ان هذه القضية لم تزل مظلمة غامضة كل الغموض . وانا كلما فكرت فيها ازدادت في عيني صعوبة واشكالاً ولا اعلم من اتهم ولا في من اسيء الظن . فوا ويلاه ! وواحرقتاه ! لاسيما اذا ذهب هدراً ذلك الدم الزكي الطاهر

— تصبري يا بنية . والله المسؤول ان يفرج كربتك

— وفوق ما انا فيه من الويل تحدثني نفسي بويل آخر يتهددني وسيشن عليّ غارته

— هذا منك هواجس كاذبة يا ابنتي وكأن الاهوال التي قاسيتها والجهاد الذي بذلته في التصبر وعدم التضعضع حمضت نفسك فصرت تتشاءمين وتتطيرين من كل شيء

— ليت تعليلك صحيح ولكن هيهات

— والولدان اخوك واختك . ما تصنعين بشأنهما

— سادعوهما اليّ فيعيشان الى جانبي وآنس بقربهما واحرص على حسن تربيتهما المدرسية والبيتية

ثم انصرف الاب ماريستو وبعد انصرافه بساعة استدعت اليها المسيو جاك فاطلعته على ما كان ينويه سيده من ترقيته وانها احتاجت بعد وفاة المرحوم الى انفاذ نيته ومن ثم عينته مديراً للمحل وشريكاً فيه جزاء امانته واجتهاده وطول خدمته . فشكرها على ذلك شكراً عظيماً . واستلم اشغال المحل وهو ضليع منها

عارف بداخلها وخارجها . فحسدته الفتاة ايلوديا وقالت في نفسها : وهذا الرجل ايضاً ربح واستفاد بقتل جوميني

١٤

باب يفتح ويقفل من نفسه

ازداد تحدث الناس في قضية جوميني وكثرت الاشاعات حولها وتناولتها الصحف بلهجة اشد واحدّ من لهجتها الاولى ملمحة الى عجز المستنطق فيها، الامر الذي ساء المستنطق واحنقه . ولعل استياءه اصبح مضاعفاً اذ رجح عنده ان بعض رصفائه يغرون تلك الصحف به خفية . فارتأى ان يعود الى استنطاق المنتمين الى محل جوميني من بواب وبوابة وخادم المحل ومستخدميه وان يدقق جهده في استنطاقهم واستقصاء معلوماتهم لعله يستفيد فائدة جديدة من وراء ذلك

فدعا الى مكتبه قبل الكل البواب والبوابة ، وكانا بسيطي المدارك جداً ولكنهما مهذاران ثرثاران يُسألان عن شيء فلا يكادان يوصلان السامع اليه الا بعد ايراد خمسين شيئاً ليس لها به اقل علاقة . فكان المسيو كورسيل يصبر عليهما في ذلك لكيلا ينفرهما منه ، واذا نفرا فقد يكتمان مما يعلمان شيئاً يعرقل كتمانه التحقيق القضائي

قال المسيو كورسيل للبواب واسمه جدعون

— اعد على سمعي بالتفصيل كيف قضيت وامرأتك تلك الليلة التي قتل فيها سيد كما المسيو جوميني

— سهرت في غرفتي مع امرأتي وحسب العادة تناول طعام العشاء معنا الشاب كوراشون خادم المكتبة وبقي سهران بيننا الى الساعة الحادية عشرة ثم انصرف وهو ميعاد انصرافه كل ليلة. وبعد ذلك بنحو ساعتين عاد الى المنزل سيدانا المسيو جوميني وعقيلته ولم يدخل بعدهما داخل فنمنا

— الم تشعرا بشيء ولا بحركة من بعد تلك الساعة ؟

— كلا ... الا انه ... بل ان ذلك امر تافه لا يستحق الذكر

— قل كل ما عندك. لا تخفِ عني بادرة ولا نادرة

— ان امرأتي ملقينا هذه التي امامك تكثر احلامها الشيطانية في كل ليلة. وكلما حلمت حلماً ايقظتني وازعجتني وقصت عليَّ خبره. وفي جملة ذلك انه خيل اليها وهي نائمة ان باب المنزل فتح واقفل وسمعت صوته. فضحكت من وهمها، وقلت لها عودي الى فراشك ودعيني في فراشي. لعن الله احلامك فهي ويل عليَّ. لم يفتح الباب يا ملقينا ولم يقفل. فاقفلي عني شدقيك ولا تفتحيهما حتى الصباح

فاهتز المستنطق لهذا الخبر غير المنتظر والتفت الى البوابة قائلاً :

— اهذا الذي جرى يا ملقينا ؟

— نعم يا سيدي. هكذا قلت له وهكذا اجابني. ولكنني

لما سمعت الصوت لم اكن قد غفوت تماماً . غير انني لما رأيت جدعون يصدني ويتهكم عليّ قلت في نفسي لعلـه هو المصيب فعدت الى فراشي ونمت مثله الى الصباح

— كيف يقفـل الباب او يوصد بمزلاجـه وانتما الموكلان بذلك

فقال البواب :

— ان للباب حركة يمكن به ان يفتح ويقفل من تلقاء نفسه دون الاستعانة بنا . ولكن هذه الحركة لا يعرفها الا اهـل المنزل ولم يستعملها احد منهم قط لاستغنائهم عنها

فظهرت في وجـه المسيو كورسيل ولهجتـه علامـة الغضب وقال للزوجين

— يا لكما من بليدين . لم لم تفضيا اليّ بهذه المعلومات من اول وهلة . باب يفتح ويغلق من تلقاء نفسه ثم يسمع صوت اقفاله وانتما ساكتان عن هذا كله . وهو مهم جداً في تحقيقنا . ان تبعـة قانونية تلحقكما بهذا التأجيل المضر . ويل لكما

فارتجف المسكينان خوفاً وقال البواب :

— لم يخطر على بالنا ان هـذه الاشياء التافهـة تفيد القضاء يا سيدي . وانا لم اكن موقناً صحة ما قالته لي هذه الثرثارة . وعـلى كل حال فاي دخل لنـا في هذه القضية . اننـا فقيران مسكينان يا سيدي . لا تصب علينا جام غضبك . انقتـل نحن سيدنا الفاضل المحبوب المسيو جوميني او نساعد احداً على قتله وقد كان المرحوم ولي نعمتنا . فوا اسفاه عليه ! لو رآنا في هـذا الموقف بين يديك

لرثي لحالنا سريعاً وخلصنا مما نحن فيه

واما البوابة ملقينا فاخذت تبكي وتشهق وتقول :

— ويـــلاه ما ذنبنا نحن ؟ . انكون مجرمـين في قضية مقتل . . . في قضية مقتل المرحوم جوميني وكنا في حياته نفديه بارواحنا ؟

— فلما رأى المسيو كورسيل جزع البواب والبوابـة الى ذلك الحد بمجرد كلمة توبيخ اسمعها اياهـا لم يتمالك من الابتسام على ما كان فيه من موقف الجد واشتغال البال ثم قال لهما :

— لا تخافا شيئاً . اني لم اتهمكما بالجريمة ولا بالاشتراك فيهـا ولكني لمتكما على تقصيركما اول مرة في اداء المعلومات . انصرفا الآن بسلام

فانصرف الزوجان . واما المسيو كورسيل فقـد ازداد تشبثاً بفرضه وتخمينه حين سمع ما سمع وقال ان القاتل هو الذي خرج من المنزل في تلك الساعة من الليل فالظاهر انه كان كامناً في بعض زواياه او ان احداً ادخله المنزل واخرجه منه دون ان يستعـين بالبواب او البوابة لان للباب حركة بها يفتح ويقفل من تلقاء نفسه . وهذه الحركة لا يعرفها الا اهـل المنزل . فمن يكون اذن شريك الجاني الاثيم في ادخاله واخراجه

ناجى نفسه بذلك وهو يضمر ايقـاع الشبهة العظيمة على ارملة القتيل . وكاشف كاتبـه ظنونه فنكس الكاتب رأسه وقال : هكذا هي الظواهر الى الآن وانت معذور في الاستناد اليها . ثم اراد استدعاء لكرانج لمشاورتـه في الامر والافضاء

اليه بتلك المعلومات الجديدة لعلها تساعده في بحثـه واستقصائه واذا بلاكرانج دخل عليه وفي يده جريدة وبعدمـا سلم عليه قال له :

— اتيتك بهذه الجريدة يا سيدي ففيهـا خـبر يهمك. خذه واقرأه

فقرأه واذا بصاحب الجريدة يقول انه في امسه واجه بواب منزل القتيل جوميني وزوجة البواب وبعد الكد والتلطـف في استدراجهما الى الحديث قالا له ان باب المنزل بعد انتصاف تلك الليلة قد فتح واقفل وان البوابة سمعت صوته

فاطلع المستنطق زائره عـلى ان هذا الخـبر نفسه تلقاه تلك الساعة من فم البوابة وزوجها

١٥

صدى الخبر الجديد الذي رواه البواب والبوابة .
ايلوديا امام المستنطق

شاع الخبر الذي رواه البواب والبوابـة من امر الباب الذي يفتح ويغلق من تلقاء نفسه ولا يعرف سر حركتهِ الا اهل المنزل، ومن ثم الشعور برجل مجهول خرج من البيت خلسة في جوف الليل . شاع ذلك الخبر بـين الناس فزاد سوء ظنهم في المنكودة الحظ ارملة القتيل واخذوا في مجتمعاتهم الخصوصيـة يسلقونها بالسنـة

حداد . وقد انقسموا بشأنها فريقين متقاربين في الحكم والرأي غير مختلفين ، فريق يعتقد تمام الاعتقاد انها هي المجرمة وشريكة القاتل في قتله وقد اعانته على دخول المنزل والخروج منه ، وفريق لم يصل سوء ظنه الى حد العقيدة الراسخة بل الى حد الترجيح والتغليب . واما الصحف فكانت سطورها في ايراد الخبر والتعليق عليه ارصن من السنة الناس واقرب الى الاعتدال بدافع ما يترتب على اصحابها من واجب التأني والتريث في اداء صناعتهم واتقاء التبعات القانونية او الادبية التي كثيراً ما تنشأ عن تعجل الحكم وسرعة الجزم في الامور

قال الناس او اكثرهم : كيف تكون السيدة مرغريت بريئة من هذه الجريمة الهائلة براءة الذئب من دم ابن يعقوب وقرائن الحال الكثيرة تنادي بتجريمها ، والا فمن ادخل القاتل ومن اخرجه . وكيف لم تتفقد زوجها وتصعد الى غايته لترى ما الذي جرى عليه حين رأته تأخر في النزول الى غرفة النوم . واما قولها واعتذارها بان النعاس غلبها فنامت ولم تستيقظ الا عند الصباح فهو قول ضعيف بعيد عن المعتاد والمعقول . لا شك انه حجة مختلقة . واما فقدان المال من الخزانة الحديدية فأمر مصطنع ايضاً لاجل تضليل القضاة وايهامهم ان القاتل ارتكب فعلته لاجل السرقة . ولعل ذلك المال المأخوذ كان اجرة للقاتل على ما جنته يداه . واما الباعث الحقيقي الذي بعث المرأة على السعي الى اهلاك زوجها فليس امراً جوهرياً في الوقت الحاضر وليس جهلهُ موقتاً مما يضعف وجوه التهمة ولا بدَّ ان ينجلي هذا الباعث ويظهر لعيون القضاة في سياق ابحاثهم

وتحقيقاتهم

هذا الذي كان يتناقله الناس ويتبادلونه في احاديثهم ومجالس سمرهم . ولم يكن ما اظهرته مرغريت من الجلد واخفاء الكمد وحضور الذهن في اجابتها على اسئلة القضاة وعدم ظهور ادلة قلق عظيم عليها ولا وخز ضمير مما نفهما في عيون اولئك المغتابين ولا حملهم على ان يعدلوا سوء ظنونهم في المرأة ويقولوا لو كانت مجرمة لظهر شيء من دلائل الجرم على وجهها او طرف لسانها . بل قالوا ان كل ما ظهر منها على اثر مقتل زوجها يزيد التهمة الواقعة عليها وضوحاً لانه دليل على قدرتها ودهائها وعلى قساوة قلبها بعدم تضعضها من تأثير الحادث الفظيع

وهكذا اصبحت قضية مقتل جوميني بطورها الجديد ذاك من القضايا المشهورة ذات الاهمية العظمى يكاد يحشرها السامعون بها في جملة القضايا العائلية القليلة النادرة التي انكشفت عن مجرمين خائنين كانوا يحسبون من ملائكة النعيم فاذا هم من ابالسة الجحيم

ولم تكن مرغريت الى ذلك الحين قد شعرت بما تلبد فوق رأسها من ضباب الشبهات وعارها ومخاطرها بل ظلت مكتفية بحزنها وحدادها مهتمة بكيفية تدبير امورها بعدما فقدت سندها وعماد بيتها . ولما وصل الى سمعها ما شاع عن شعور البوابة بباب المنزل يقفل وراء فاتح يفتحه في تلك الليلة الظالمة المظلمة استغربت الامر كل الاستغراب وفكرت فيه مليًا فلم تجد له

حالاً . ثم رجح لديها ان البوابة كانت واهمة في ما سمعته وشعرت بـه ودليل الترجيح انها كانت ذلك الوقت قريبة من الاغفاء وهي حالة لا يطمئن العقل الى ما تدعيه الاذن والعين فيها من سمع وعيان

واما جاك الرئيس الجديد لمحل جوميني فقد راعه وساءه مـا لاحظه من اقاويل الناس في سيدته وود ان يبذل حياته في سبيل الدفاع عنها وتشريف سمعتها التي يراها تستحق كل تشريف وتمجيد . وكان جاك يشعر بميل وانجذاب الى مرغريت من يوم كانت فقيرة محتاجة مستخدمة في المحل وهو فوقها في المرتبة . ثم لم تزده الايام الا ميلاً اليها واعجاباً بمحاسنها وكرم اخلاقها . ولكنه ميل لم يتبين حقيقته ولا اراد هو ان يتبينها أكان غراماً ام لا . ولما تزوجت مرغريت المسيو جوميني تبسم جاك في سره ابتسامة كآبة لا تخلو من مرارة ولكنّ شرف المبدأ لم يلبث ان تغلب عليهِ وقال : هنيئاً لها فقـد اسعدها الله واقرّ عين سيدي جوميني بهـا وكلاهما اهل لكل خير وسعادة وقرة عين

ولاحظ جاك في الفتاة ايلوديا سروراً طافحاً على وجهها بما راج من الاشاعات الشنيعة عن السيدة مرغريت . وكان جاك لا تخفى عليه خافية من سوء نيات ايلوديا ونفاقها واعوجاج اخلاقها وما تضمره من الحسد لمرغريت والحقد والحنق عليها وان تظاهرت بالمودة لهـا يوم كانت رفيقتها في المكتبة وبالطاعـة والخضوع والاخلاص في سبيلها بعدما اصبحت مرغريت صاحبة المحل ورئيسة لايلوديا

استشعر جاك من ايلوديا ما ذكرناه فاستشاط غيظاً في باطنه

وود لو يحمل تلك الحبيثة بين ذراعيه ويقذفها الى الخارج قذفة تحطم اضلاعها . ولكنه تماسك وتمالك . ثم رأى ايلوديا تتقدم نحوه ولما بلغته قالت له :

— ان دائرة الاستنطاق تدعوني للمثول امامها . ولا اعلم ما الذي اقوله لها بشأن القضية وانا غير مطلعة على شيء جديد

فاجابها جاك :

— هكذا قولي للمستنطق : انك غير مطلعة على شيء جديد

فسكتت قليلًا بعد هذا الجواب المختصر المبتور ثم عادت الى الحديث وقالت :

— الا ترى يا مسيو جاك من غرائب الامور ما قيل من سماع البوابة لصوت الباب يغلق وراء خارج منه في تلك الليلة

— الامر اقل غرابة مما تظنينه ويظنه غيرك . فالمرجح عندي ان البوابة كانت واهمة مغرورة في ما سمعت وهي ساعتئذٍ بين اليقظة والنوم

نطق بذلك ثم قال لايلوديا :

لك ان تذهبي الساعة الى دائرة الاستنطاق ولكن اسرعي جهدك في الرجوع الينا فان الاشغال عندنا كثيرة متراكمة

وصلت ايلوديا الى مكتب المستنطق فعرف في اثناء استنطاقه لها انها مستخدمة في محل جوميني من سنوات عديدة وسألها : اوكان القتيل على وفاق في العيش مع زوجته السيدة مرغريت . فاجابته بالايجاب . ثم سألها :

أكانت مرغريت تحب زوجها ؟ فسكتت هنيهة ثم تكلفت الابتسام وقالت :

هكذا كان يظهر للناس منها وانا في جملة الناس

فاهتز المستنطق لهذه الكلمة بل هذه الوخزة فقال للفتاة :

— اذن انت لا تعتقدين انها كانت تحبه

— انا لا اعتقد في هذا الامر نفياً ولا اثباتاً . فهو سر لا يعلمه الاَّ الله

— هل تعلمين انه كان للمرحوم جوميني اعداء يشتهون موته

— لا اعلم انه كان لرئيسنا العزيز عدو له في الخارج

— افكان له عدو في الداخل

فتظاهرت ايلوديا بالحيرة والارتباك ثم نكست رأسها وقالت بصوت منخفض يكاد لا يسمع

— ربَّما

فظهرت في جسم المسيو كورسيل رعشة خفيفة عند سماعه من الفتاة ايلوديا هذه الكلمة :

« ربَّما » فانها اشبه شيء بنافذة يطل الناظر منها على ميدان رحب كان محتجباً عن العيون . فالتفت الى كاتبه المسيو ميتلوا وتبادل الرجلان نظرات تشف عن استغراب الامر واستعظامه

وكان الكاتب ميتلوا رجلاً مهذباً ذكيًّا مستقيماً يعول كثيراً على حسن الفراسة للحكم بشأن المتداعين والشهود أهم اهل صلاح ام اهل طلاح ؟ أمتزهون عن التهم الشنيعة ام غير متزهين . وقلما

كذبه فيهم حدسه وتخمينه ولعله كان يرى من خفاياهم ما لا يراه رئيسه المسيو كورسيل . ولا غرو فان كورسيل باستغراقه في السؤال والجواب ومراجعة الافادات السابقة لا يتفرغ لما يتفرغ لـه كاتبه من انعام النظر في وجوه وهيئـات من يدخلون دائرة الاستنطاق ومراقبة حركاتهم وسكناتهم والانتباه الى لهجتهم في اقوالهـم لتمييز غثهم من سمينهم

نفض الكاتب ميتلوا الفتاة ايلوديا بنظراته النافـذة فلم ترقه دخيلة امرها بل شعر ان لها حصة غير يسيرة من الخبث والرياء

وبعد سكوت هنيهة قال المسيو كورسيل للفتاة :

ما الذي تعنينه بقولك : ربَّما

فوجمت وسكتت . فقال لها . انطقي بكل مـا تعلمينه ولا تحذري شيئاً ، فانت هنا في دائرة قضائيـة رسمية يترتب عليك امامها بواجب الانسانية والوطنية ونصرة الحق على الباطل ان لا تخفي شيئاً مما تعلمينه او ترجحين وقوعه في هذه القضية لاطلاعنا عليه ومساعدتنا في مهمتنا المقدسة

فازدادت الفتاة جرأة على القول ونفث سمومها لاجل الاضرار بمرغريت وشفاء ما في قلبها من الغل والحسد . فثلج قلبها لذلك . ولكنها تظاهرت بالحيرة والاخلاص مع رقة العواطف قائلة للمستنطق :

بربك ارفق بي يا مولاي فلا تستدرجني الى ما لا اريده ولا يطاوعني قلبي على افشائه اذا لمحت من ورائه اقل تعب او اذى

Digitized by Birzeit University Library

يلحق بالسيدة مرغريت . فهي صديقتي واليفتي ولا احب لها الا كل خير

— الحق احق ان يتبع في كل امر ايتها الانسة . وما نحن نسألك اعتداء ولا افتراء باقوالك على السيدة جوميني ولا على غيرها من الناس . قلت تلميحاً لعله كان للمرحوم جوميني عدو داخل بيته . فمن عساه ان يكون

فتظاهرت بالامتناع والتردد ولما الح عليها المستنطق بالتصريح اجابت :

— ايقنت من زمان غير يسير ان الشاب المختل الشعور عمانوئيل يضمر بغضاً لصهره جوميني وحقداً عليه ، لانه تزوج ثانية بعد وفاة زوجته الاولى وهي اخت الشاب . ولكنه من غرائب جنونه انه لم يكن كارهاً للسيدة مرغريت التي حلت محل اخته بل كان يحبها حباً عظيماً ويطيعها طاعة عمياء في كل ما تشير به عليه . وقد اكتسبت حبه من قبل زواجهما لطول ملاطفتها له وعطفها عليه . فلما تزوجت صهره ظل على حبه لها واذعانه لاوامرها

— هل عندك على ما تقولين دليل حسي ؟

— نعم

ثم قصت عليه ما مر بالقارئ خبره من اختطاف ذلك المعتوه للخنجر وتهديده به صهره وامتناعه من تسليمه حتى خاف المستخدمون ان يهجم على صهره ويطعنه ويقتله . ولكن السيدة مرغريت توسطت في الامر ، وما احتاجت الا الى كلمة واشارة

Digitized by Birzeit University Library

للشاب حتى دفع لها الخنجر وتبعها كما يتبع الكلب صاحبه . فأمرته بدخول غرفته والبقاء فيها فصدع بامرها على الفور

فكانت هذه الافادات في منتهى الخطورة والاهمية . وعاد المستنطق وكاتبه الى تبادل النظرات . واذ انتهى استنطاق ايلوديا استأذنت وانصرفت . وبعد انصرافها انصرف المسيو كورسيل الى كاتبه وقال له :

— كيف ترى ما سمعت ؟

— انه لامر خطير . واظنك اتخذته دليلاً على تأييد او ترجيح ظنونك الاخيرة يا مولاي

— الا تراني في ذلك معذوراً يا ميتلوا ؟

— كأني بك يا سيدي تظن قد انفتح امامك طريق الصواب ، وان مصباح الحق قد اوقد امامك . كأني بك تحكم ان هذا العدو الداخلي الاثيم هو ارملة القتيل نفسها وانها استخدمت الشاب المعتوه عمانوئيل الذي لا يعصى لها امراً في قتل صهره

— الى الآن لا احكم بذلك حكماً جازماً . ولكن الا تسوغ لنا هذه القرائن القوية افتراض ذلك وجعله اساساً جديداً لبحثنا وتحقيقنا

— حذار من التسرع يا سيدي . فقد ذكر السياح ان في القفار الرملية بالمنطقة الحارة قد يرى الناظر عن بعد سراباً يظنه نهر ماء فاذا بلغ موضعه لم يجد شيئاً

— ما علاقة السراب والماء بما نحن فيه

— السراب الخداع يمكن وجوده في الحوادث والمعنويات كما

Digitized by Birzeit University Library

يوجد في القفار الرملية . وهذا شأننا معه في قضية جومينى . ان ما سمعناه الساعة وتوهمناه قرائن حال قوية لا يخرج عن كونه سراباً . والا فكيف يخرج المعتوه من غرفته في جوف الليل وكيف يدخل غرفة صهره ولا ينتبه اليه صهره ويعيده الى موضعه . وهل مثله جدير بان ينحي الجثة عن الخزانة لكي يسلب المال . ثم اين نذهب بافادة البوابة انها شعرت بخروج رجل من المنزل تلك الساعة من الليل ومعلوم ان المعتوه لم يخرج من المنزل بل بقي فيه

فاعترف المسيو كورسيل بوجاهة هذه الاعتراضات وعدّل ما كان قد طرأ عليه من الظنون

وكان قد سأل الفتاة ايلوديا قبل انصرافها من عنده اما سمعت من صديقتها مرغريت قبل زواج هذه انها تحب احداً من الناس او ترغب في الزواج . فاجابته كلا لم تفض الىَّ بشيء من هذه المكاشفات مع صفاء الود بيني وبينها ومع ما هو معروف مألوف من تبادل الصديقات امثال هذه الاحاديث وذلك لان من طبيعة مرغريت التكتم والصمت والاحتياط . فسألها المستنطق : اما لاحظت انت امانيها في هذا الموضوع ؟ اما شعرت منها بعاطفه حب نحو احد من الناس ؟

فقالت كل ما رأيته منها انها تود المسيو جاك وتميل اليه كما يميل اليها . وكان المسيو جاك يومئذ المستخدم الأول في محل جومينى

— او ليس هو كذلك الآن ؟

— كلاَّ

— لعله استعفى من مركزه ؟

— بل رقي الى ما هو اعلى من ذلك بكثير

— اوضحي لي ما تعنينه

— اريد ان السيدة جوميني بعد مقتل زوجها جعلت المسيو جاك رئيس المحل كله ومديره العام وعينت له حصة عظيمة من الارباح فاصبح مع رئاسته على المحل شريكاً فيه لا موظفاً

١٦

المستنطق ازاء مرغريت وايلوديا ازاء جاك

بعدما انصرفت ايلوديا من دائرة الاستنطاق وعادت الى محل جوميني اخذت تعيد على ذاكرتها ما قالته هناك. فوجدته امراً عظيماً يوقع مرغريت في شبكة محكمة حبائلها ، ولكنها لم تندم على ما قالت بل احست بشيء من الافتخار بدهائها وذكائها وبشيء من الشماتة بمرغريت. ثم قالت في نفسها ان كل ما قلته هو الحقيقة بعينها يمكنني اثباتها عند الاقتضاء ما عدا ما ذكرته من شدة بغض عمانوئيل لصهره جوميني فهو من مبتكراتي. وبعد هذه المناجاة خافت ان يكون من وراء ما نطقت به مجلبة خزي او تعب لها. ثم عاودها طبع الوقاحة والحسد فاستصوبت جميع ما اقدمت عليه

Digitized by Birzeit University Library

واما المستنطق كورسيل فضرب اخماساً لاسداس وعول على زيارة محل جوميني في صبيحة اليوم التالي ليسمع مرة ثانية اقوال المستخدمين او بعضهم ثم يصعد الى منزل ارملة جوميني في الطابق الاعلى فيستفهمها ويسمع اقوالها لعله يهتدي الى شيء من الصواب. وهكذا فعل

ففي الساعة التاسعة من صبيحة اليوم التالي استصحب كاتبه ميتاوا وذهبا معاً الى المحل المقصود. ولما بلغاه دخلا المكتبة اولاً. وحين رأتهما الفتاة ايلوديا احمر وجهها واوجست خيفة اذ تصورت زيارتهما لامر عظيم قد يعود عليها بالفلاح في مقاصدها وقد يعود بالخزي والعار

فدنا منها المستنطق وكلفها ان تشعر السيدة مرغريت بحضوره وان تقول لها انه ينتظر اشارتها لكي يوافيها. قال وفي هذه المهلة لا بأس ان اسمع شيئاً من اقوال رجال المحل هنا او على الاقل مما يقوله رئيسهم المسيو جاك

ثم دنا من جاك وفاوضه الحديث وسأله عما يعلمه من بغض عمانوئيل لصهره جوميني وعن حادث اختطافه الخنجر وتهديد جوميني به وعن شدة ولوع عمانوئيل بالسيدة مرغريت

وكان جاك لبيباً متقد الذهن فلم يفته ان هذه المعلومات الجديدة افضت بها ايلوديا الى المستنطق وانها اقدمت عليها بخبث نية لتوقع مرغريت في ورطة وبيلة. وقد ذكرنا سابقاً ان المومأ اليه ما كانت تخفي عليه خافية من شأن ايلوديا وبغضها لصاحبة

المحل . فغضب في سره مما سمع ولكنه تماسك واجاب المستنطق قائلاً :

ان ما بلغ مسامعك يا مولاي فيه مبالغات وتهويلات . فان الشاب المغتوه عمانوئيل لم يبغض قط صهره جوميني ولا خطر له ببال ان يوقع به اذى . وما حادث اختطافه الخنجر شيء يعتد به او يقاس عليه الا اذا اردنا ان نجسم الحبة فنجعلها قبة . ذلك الحادث كان بسيطاً موقتاً نشأ عن تمرد شاذ من الشاب عمانوئيل الذي هو في اكثر حالاته هادى ساكن . فذلك العارض من قبله لا يدل على بغض كامن في اعماق نفسه او نيات شيطانية ينويها . ان المسكين لا يصلح لمثل هذه الامور ولا تطيقها مداركه ، بل جاء تمرده فلتة جنونية استثنائية كفلتات الاولاد الصغار في بعض اعمالهم وتصرفاتهم نحو اهلهم واوليـاء شأنهم . ولم يستغرق حادث الخنجر الا دقائق قليلة ثم انقضى امره على اهون سبيل . ولو ان المرحوم جوميني خاف اقل شر من قبل ابن حميه المسكين لما ابقى الخنجر معروضاً للانظار في محله المعهود من الطابق الاعلى . ولو ان عمانوئيل اضمر نية سوء لعاد في اليوم التالي او احـد الايام التاليـة الى اختطاف الخنجر والاهواء به على صهره او على غيره من سكان المحل . ولكنه لم يحدث شيء من ذلك . فالحادث كما قلنـا كان بسيطاً لا يتخـذ مقياساً ولا قاعدة يبنى عليها

سمع كورسيل هذه الاقوال من جاك ورآها تؤيد رأي كاتبه ميتلوا . فاكتفى من جاك بما سمع . ثم جاءته خادمة السيـدة مرغريت تدعوه الى ردهة الاستقبال في الطابق الاعلى فصعد اليهـا

Digitized by Birzeit University Library

ووراءه كاتبه . وبعد ما سلم على السيدة قال لها : لم آتك يا مولاتي ازعجك مرة ثانيـة الا لاني اوّمل اكتساب فائدة جديدة في سياق الحديث بيني وبينك . فانا الساعة اريد استفهامك لا استنطاقـك . واذا اردت ان يتنحى عنا كاتب الدائرة المسيو ميتلوا فهو يتركنا وشأننا

فقالت : لك الحق ان تستفهمني او تستنطقني كما تشاء . واما وجود المسيو ميتلوا بيننا فلا يضايقني مطلقاً

وفي تلك الساعة نفسها استقدم المسيو جـاك الآنسة ايلوديا الى غرفته الخصوصية في المكتبة وهي غرفـة الرئاسة التي كانت للمسيو جوميني . فانفرد بها هناك ثم حدق اليها وقال لها بشيء من الخشونة :

— ان ما قلته امس في دائرة الاستنطاق ايتهـا الآنسة لهو في منتهى الخبث واللؤم

— لم افهم ما تعنيه يا مسيو جاك

— كذبت فانك تفهمين ما اعنيه كل الفهم

— اذا كنت قـد دعوتني لتهينني فلا حاجـة بي الى هذا الموقف

قالت ذلك وهمت بالانصراف فاعادها الى مجلسها رغماً منهـا وقال لها :

— اني لا اهينك . بل انا افضح امرك واكشف سرّك . باي مسوّغ نفثت سمومك في ما نطقت به ؟

— كنت في دائرة الاستنطاق وهي دائرة رسمية وقد سئلت بعض اسئلة وطلب مني الاجابة عليها بما اعلم ففعلت . فاي ذنب جنيت ؟

— لو اقتصرت على ما طلب منك لما كان عليك اثم ولا حرج . ولكنك تطرقت الى ما لم يطلب منك ولم يخطر للمستنطق على بال . هل المستنطق كان عالماً بمسألة اختطاف الخنجر حتى ذكرتها وجسمت امرها وهولت خطبها طبقاً لمقاصدك الخبيثة . وفضلاً عن ذلك فمن ابن اختلقت امر البغض الكامن في قلب عمانوئيل لصهره جوميني واردفت ذلك بقولك ان عمانوئيل يطيع السيدة مرغريت طاعة عمياء . افلم تجعلي هذه الاقوال تمهيداً لايقاع سيدتنا في شبهات مظلمة مستحكمة الحلقات

— قلت ما ظننته صحيحاً حسب رأيي وحكمي . فقد اكون مصيبة في بعضه ومخطئة في البعض الآخر . واما الاذى فلم اتعمده قط

فاحدَّ نظره اليها وصرخ مغضباً :

— بل تعمدت ذلك كل التعمد . وانا أعرف الناس بك وبمكرك من زمان طويل . انك ايتها الفتاة تبغضين السيدة مرغريت وتحسدينها حسداً شيطانياً وان جاز عليها وعلى غيرها شيء من مداهناتك وودك الكاذب فلم تجز عليَّ من ذلك ذرة واحدة . لم تعتفري للسيدة مرغريت انها استلمت امانة الصندوق في هذا المحل وكنت انت الطامحة الى هذا المركز . ثم تضاعف حنقك عليها وحسدك لها لما تزوجها المرحوم جوميني وفضلها عليك . وكنت قد عللت نفسك بان

Digitized by Birzeit University Library

تكسبي وده فخابت آمالك ومساعيك . هذا لباب ما انت تتعذبين منه وتسعين الى شفاء غلك بوضع الشريفة البريئة موضع الدنيئة الاثيمة . فتباً لكل معتد اثيم ! . . .

فجمدت ايلوديا في مكانها وعلمت ان جاك مطلع على سرائرها فلا يفيدها الكذب ولا الانكار . وظلت صامتة وهي ترتجف خزياً وحنقاً وخوفاً

فتركها جاك امامه على هذه الحالة دقيقة او دقيقتين ثم قال لها متأنياً متمهلاً :

— انصرفي الى شأنك ايتها الفتاة وصلي الى الله لكيلا يجعل من وراء اقوالك وتخزاتك ضرراً يقع على اهل الفضيلة . ولكن انى لك الصلاة . فالصلاة الى الله عز وجل لا يعرفها من كان مثلك

فانصرفت تتعثر باذيال الذل والذعر حتى بلغت غرفتها في المكتبة . واذا بخادم المحل ينظر اليها نظرات معنوية والابتسام يعلو شفتيه

*

واما السيدة مرغريت فقد حدثتها نفسها ان زيارة المستنطق لها ذات بال وشأن عظيم وان لم تتبين كنه هذا الشأن . فلما بلغ المستنطق موضعها ورأته مستصحباً كاتبه ازداد رجحاناً عندها ما توقعته من خطورة تلك الزيارة وهول وقعها . وبعدما فاتحها المستنطق الحديث بالكلمات التي ذكرناها في سطور سابقة قال لها :

Digitized by Birzeit University Library

— ايتها السيدة اننا الى الآن لم نهتدِ الى معلومات وثيقة جديدة تخطو بنا الى الامام في سبيل كشف الحقيقة عن مقتل المرحوم زوجك . لم نظفر بنور ضئيل لا انا ولا حضرة المدعي العام ولا مفوض الشرطة ولا الشرطي لكرانج . . .

فقطعت مرغريت عليه الكلام قائلة :

— وانا مثلكم ايها السيد لم اظفر بفائدة جديدة في هذا الامر المؤلم المدهش

— وكل ما وصلنا اليه في تحقيقاتنا القضائية الى الآن ان القاتل لا بد ان يكون شخصاً غير غريب عن الفقيد حتى زاره في تلك الساعة ثم غدر به واغتاله

— اي الناس يزور او يزار بعد منتصف الليل ؟

— هل كان للمرحوم زوجك عدو او خصم تجاري عنيد

— كلا . كان زوجي يسالم الجميع والجميع يسالمونه . وقد قضى حياته ولم يلجأ الى الشكاوي في اي اختلاف تجاري يقع بينه وبين من يعاملونه . بل كان يفضل تسوية الخلاف حبياً ولو خسر بهذه الطريقة قسماً كبيراً من حقه

— اذا لم يكن له عدو في الخارج بقي علينا ان نبحث عن العدو في الداخل

— ليس في الداخل الا اهل البيت ومستخدمو المحل . ومن مضحكات الدهر ومبكياته ان نتهم واحداً من هؤلاء . وقد اشرت لكم الى رأيي هذا في اجتماع سابق

— نعم . ولكن ضيق الحلقات علينا في البحث والتحقيق

Digitized by Birzeit University Library

يضطرنا الى المراجعة واعادة النظر

— لكم ما تشاؤون

— فلنبدأ بمستخدمي المحل ان لم ترعجك الافادة

— حبًا وكرامة . فلنذكر المسيو جاك قبل غيره . فهو شاب يُحسب مجسماً الشرف والاخلاص والاستقامة في هيئة آدمي . شهدت له بذلك سيرته الماضية وخدمته الطويلة عندنا . فهل يجوز اتهامه ؟

— لعل المسيو جاك يقوم موقتاً بادارة محلكم بعد وفاة المسيو جوميني

— لماذا تكون ادارته موقتة لا دائمة . قد عينته مديراً للمحل طبقاً لما كان ينويه زوجي بشأنه وقد كاشفني رأيه ذاك قبل مقتله بايام يسيرة

- اكذلك كانت نية المرحوم ؟

نعم كان ينوي ان يجعل المسيو جاك شريكه في العمل . فلما توفي واضطررت الى يد قوية مخلصة خبيرة تحافظ على محلنا لم اجد الا يد المسيو جاك فانفذت ما نواه له رئيسه

— لا شك ان المسيو جوميني نوى اشراكه معه بشرط ان يقدم المسيو جاك شيئاً من رأس المال

— كلا . كلا . فان زوجي كان يعلم ان المسيو جاك اصبح فقيراً بعدما فقد ابوه ماله في مضاربات البورصة . ولكن زوجي اعتاض عن الاستفادة من زيادة راس المال بما عند المسيو جاك من قدرة وخبرة ونشاط واخلاص . ولا عجب ان لا يقيم المسيو جوميني وزناً

كبيراً للمال اذا وجد عوضاً عنه ما يرضيه من خلال واخلاق. والدليل على عدم طمع المرحوم بالربح المادي وجودي انا امامك يا سيدي المستنطق. فقد رضيني له زوجة وشريكة لحياته ورئيسة لبيته مع اني يتيمة فقيرة ذليلة. وكان يمكنه، لو اراد، ان يستعيض عني بزوجة تقدم له مبلغاً جسيماً من المال على سبيل البائنة

فانحنى المسيو كورسيل انحناء احترام. ثم سأل مرغريت اعادة ما عندها من الحكم والرأي في بقية المستخدمين فذكرتهم واحداً واحداً، واثنت على كل منهم بما يستحقه واجلّتهم جميعاً عن التهمة وسوء الظن

فقال المستنطق لم يبقَ امامنا الا الشاب المعتوه عمانوئيل. فتبسمت مرغريت وقالت: انه معتوه كما وصفته. وهو على بلاهته هادئ الطبع ذو سكينة لم يضر احداً فكيف نسيء فيه ظناً

— ولكن بلغني من مصدر ثقة انه كان ينفر من صهره المسيو جومييني بعد وفاة زوجته الاولى التي هي اخت عمانوئيل وتزوج جومييني زواجاً ثانياً. وبلغني انه كاد يفتك به بخنجر يوم خطف الخنجر وظهر عتوه وتمرده

فاجفلت مرغريت من تلك المباغتة اذ لم يخطر على بالها ان ذلك الحادث الخصوصي وصل الى مسامع القضاة واجابت المستنطق :

Digitized by Birzeit University Library

— ذلك حادث بسيط لا يعوّل عليه يا سيدي . وقد انقضى في مثل رمشة عين . ولم تبدر من المسكين حادثة تشبهه لا قبل ذلك ولا بعده . وما كان الذي جرى منه الا من قبل تمرد ولد على ابيه او اخ صغير على اخيه الشاب . وقد استطعت بكلمة واحدة ان اردّه الى الطاعة والسكينة

— نعم قيل لي ذلك وان لك على عمانوئيل سطوة غريبة

— منشأ تلك السطوة ما يراه المسكين من عطفي وشفقتي عليه وحرصي على عدم كسر خاطره في شيء

— افلا تظنين ولو ظناً خفيفاً ان لهذا الشاب دخلاً في الحادث الفظيع

— ابداً ومطلقاً . ثم كيف يعقل ان يفعل هذه الفعلة الشنعاء وهو محبوس في غرفته طول الليل

— لعل شخصاً اخرجه منها وساقه الى اقتراف ما اقترف . . .

فكان لهذا التعريض الهائل وقع مثل وقع الصاعقة على ارملة القتيل حتى احمرت وجنتاها وبرقت عيناها ونهضت فجأة عن كرسيها وصرخت قائلة

— كفى كفى ايها السيد ! من يكون ذلك الشخص الذي اخرج عمانوئيل من غرفته في جوف الليل ودفعه الى اقتراف الذنب الا انا ، وهو كما علمتم يطيعني طاعة عمياء . قد لمحت شيئاً من سوء الظن في اثناء الحديث ولكني لم اعتقده تماماً . . حتى سمعت الاهانة الصريحة الفظيعة باذني . . .

فقطع المستنطق الكلام عليها قائلاً ، وقد امتقع لونه وظهر الحياء والارتباك عليه :

— عفواً يا سيدتي . ان القضاء لا يهين احداً ، ولكنه يبحث ويحقق . وكل ما ارجوه منك ان لا تحسبي كلماتي تهمة او شبه تهمة بل فرضاً بسيطاً يرجى من ورائه التقدم الى الامام في سبيل كشف الحقيقة ولو لم يصح هذا الفرض

— هذا افتراء لا افتراض ايها السيد . لك الحق ان تتهمني وتشتبه بي وتقول لي ما تشاء . ولكن في مكتبك الرسمي لا هنا . لا اسمح لانسان هنا وانا في منزل جوميني غارقة في الحزن والحداد عليه ان يمس كرامته ويزعج روحه باهانة ارملته وشريكة حياته ووريثته الوحيدة . لا اطلب اليك الخروج يا مولاي فلك ان تبقى هنا ما تشاء ولكني استميحك عذراً في خروجي انا

قالت ذلك وهمت بالانصراف فاستوقفها المستنطق واعاد كلمة اعتذار وقال لها لعلي احتاج اليك ثانية وليكن ذلك في دائرة الاستنطاق

— نعم نعم

ثم انصرف هو وكاتبه بعد ما انحنيا مسلمين . فردت السلام باشارة خفيفة من رأسها

Digitized by Birzeit University Library

١٧

مرغريت بعدما علمت بالتهمة الموجهة اليها

جاهدت مرغريت جهاد الابطال في مكافحة تأثير تلك النكبة عليها وتحملت الاحزان والحسرات بنفس صبورة حسبما يقضي عليها عقلها الحصيف وتدينها الصحيح. فلما اجتمعت ذلك الاجتماع هي والمستنطق كورسيل وعلمت انه مشتبه فيها بقتل زوجها كادت تصعق من الكمد وهول الخبر

ولما انصرف عنها المستنطق وكاتبه استعادت ما جرى بينه وبينها ورأت ان قرائن الاحوال الكثيرة تسوغ لرجال القضاء وضعها موضع المتهمة الاثيمة، تسوغ لهم ما فهمته تلميحاً من حديث المستنطق انها هي التي سعت الى قتل زوجها بيد الشاب الابله عمانوئيل او غيره من الرجال وهذه التهمة مقبولة معقولة بل مرجحة ما دام القاتل لا يجوز ان يكون غريباً عن المنزل وما دام مستخدمو المحل ظهرت براءتهم او ظهر تنزيههم عن التهمة فلم يبقَ في ميدان التخمين الا هي وخادمتها العجوز مانيتا والشاب المعتوه عمانوئيل. وبما ان العجوز مانيتا غير اهل لهذه الجريمة بسبب عجزها ولكونها مربية القتيل وحاضنته في ايام حداثته فالجرم ينحصر بينها وبين عمانوئيل

Digitized by Birzeit University Library

وانتقلت المسكينة من هذه الافكار السود الى ان تهمتها تلك لا بد انها انتشرت بين الناس فجعلوها مضغة في الافواه وربما عللوا الباعث لها على تلك الفعلة بامر سافل يمس عرضها وشرفها . . .

فكرت في ذلك ورأت انها على غناها المستحدث لم تزل ضعيفة في تلك العاصمة المهيبة بعد فقد زوجها . فليس لها قريب ولا صديق الا ذلك الكاهن الشيخ الجليل . وماذا عساه ان يفعل لاجلها في عباب تلك المعضلة

فلما استعرضت هذه الامور الرهيبة احست بخور عزيمتها وتضعضع قوتها فلم تجد سبيلاً الى مزيد صبر وتجلد فوق سابق صبرها وتجلدها . فسقطت على كرسي كبير في حالة تقارب الاغماء واخذت تشهق شهقات متوالية تقطع قلب الصخر الاصم لو ان للصخر قلباً . ثم تمكنت ان تصيح : ويلاه ! اليس لي مغيث ولا راحم في هذا العالم ؟ !

فسمع المسيو جاك صوت استغاثتها وهرع اليها قائلاً : اني اساعدك واسعى لخدمتك جهدي يا سيدتي

فسمعت الصوت وفهمته . ولكن غشاء كان على عينيها فلم تعرف صاحب الصوت الا بالجهد بعدما حدقت الى وجهه نحو دقيقة . فارادت ان تشكره برفع يدها الى رأسها ولكن يدها سقطت من الضعف قبلما تستوفي رفعها . ثم غلب عليها البكاء . فبكت بدموع غزيرة بكاء مرًا . وعلم جاك ان هذا البكاء حاجة طبيعية لها في تلك الحالة وقد يفيدها ويفرج ضيق صدرها قليلاً . فلم يحاول

Digitized by Birzeit University Library

منعها عن اذراف الدموع

وبعد سكوت طويل تمكنت من الكلام وقالت لجاك :

اعلمت المصيبة الجديدة الاليمة التي يريدون صبها علي . كأنه لا يكفيني حزني على زوجي الامين الفاضل الشريف الذي يكاد دمه الزكي يذهب هدراً . اعلمت اية جريمة يريدون الصاقها بي ؟

— نعم علمت ذلك . وهذا دليل جور وضعف بصيرة من قبلهم ، وان كان لهم شبه عـذر ببعض قرائن الاحوال حسب ظواهرها . وليست الظواهر كالبواطن . اني اعدك يا سيدتي ببذل اقصى جهدي في اكتشاف القاتـل الاثيم وتحدثني نفسي اني ساظفر بـه قريباً . ومتى ظهر فحقّ الحق وبطل الباطـل القمنا الناس حجراً ونال الجاني ثمرة ما كسبت يداه

فشكرته على ذلك . ثم اخبرها ان الفتاة ايلوديا هي التي نصبت لها هذا الفخ الخبيث بما قالته امس في دائرة الاستنطاق . فقالت كيف يكون ذلك؟ اني لاستبعده . فالفتاة صديقتي ولم اسئ اليها قط ولم انكر قبل اليوم شيئاً من امرها معي

— انك كنت مغرورة بهذه الحيـة الرقطاء ، يا سيدتي ، مع كل ما لك من ذكاء وقوة ادراك . ولا عجب فقد قيل ان الكريم يُخدع . واما انا فلم يجز عليّ مكرها لاني اعرف بها منك لطول معاشرتي لها في محلكم

— ما الذي دعاها الى بغضي والعمل على اذاي واهانتي

— الحسد والحنق يا مولاتي

Digitized by Birzeit University Library

ثم اطلعها على ما يعلمه من اضمار ايلوديا الضغينة عليها لانها حلت محلها اولاً في تولي امانة الصندوق . ثم خدمها الحظ بان صارت زوجة المرحوم جوميني وكانت ايلوديا طامحة الى ذلك

واخيراً اخبرها بتوبيخه المر لتلك الخائنة منذ ساعة او اقل وكيف جبهها بما تضمره وتسعى اليه ، واظهر لها وجوه الكذب والخبث في ما قالته لدائرة الاستنطاق

وبينما هو في ذلك الحديث ظهرت الخادمة مانيتا وبيدها رسالة اليه من ايلوديا . ففض الرسالة وقرأها على مسمع من صاحبة المحل . واذا فحواها ان الفتاة تستعفي من مركزها بعد الاهانة التي وجهها اليها المسيو جاك وتسأله ان يسدد حسابها على المحل لكي تخرج منه نهائياً

فلم يسع مرغريت الا الموافقة على خروجها وقالت . واحرباه . هذه عدوة جديدة هجمت علينا عداوتها عن قلب الصداقة التي كنا نزعمها فيها وننتظرها منها بحق

١٨

جاك والشرطي لكرانج

قلنا ان الآلام انفجرت في نفس السيدة مرغريت بعدما حجزتها صاحبتها وضغطتها في اعماق تلك النفس الجبّارة مدة غير يسيرة . انفجرت تلك الآلام وكان انفجارها هائلاً لا يطاق وبعبارة ابسط

Digitized by Birzeit University Library

كان رد الفعل عظيماً .. وفي جملة نجوى السيدة مرغريت بينها وبين نفسها انها قالت :

ويحي ما اشقاني وما اعمق الهوة التي جعلتني الاقدار على حافتها . ان سلمت من ايدي القضاة فكيف اسلم من السنة الناس وسوء ظنهم وامتهانهم لي في سرهم . ان لم تحكم المحكمة علي بشيء قال الناس ان السيدة جومين هي الخائنة اللئيمة ، ولكن الاحوال ساعدتها فلم توفق المحكمة الى براهين كافية لتجريمها وضرب عنقها او زجها في ظلمات السجن المؤبد . هكذا اصبحت حالي اذا لم يكشف المجرم الحقيقي . هي حال خير منها الموت . هي حال كانت حالي السابقة من الفقر والذل وخمول الذكر تحسب في جنبها سعادةً ونعيماً . فما اقل حظي من هذه الحياة الغرور وهذه الدنيا المكارة الغدّارة ! . . .

هكذا اصبحت مرغريت في اتون متأجج من عذاب وحزن وحيرة وانكسار وخوف . لا تستلذ طعاماً ولا مناماً ولا مجالسة ولا مؤانسة

واما رئيس محلها المسيو جاك تيرتر فقد انصرف عنها اذ وجد كل كلام معها وهي في تلك الحال يعد حشواً ولغواً . فاكتفى بكلماته اليسيرة التي اظهر فيها صدق خدمته واخلاصه وثقته بشرف تلك السيدة وبما وعدها به من بذل اقصى جهده لاكتشاف القاتل الاثيم . ثم نزل الى المكتبة وكان وقت الظهر فانصرف المستخدمون الى تناول الطعام على ان يعودوا بعد غياب ساعتين كما هي عادتهم وقبل انصرافهم ارسل مع خادم المكتبة كوراشون الى الآنسة ايلوديا

Digitized by Birzeit University Library

المستعفية رصيد الحساب الباقي لها على المحل . ثم وقف جاك على باب المكتبة وجعل ينظر الى السابلة وفي قلبه المقعد المقيم من الهم والغم . وعد السيدة مرغريت بكشف القاتل وعداً تعجل فيه بدافع النخوة والمروءة وارادة تخفيف شيء من لواعج تلك المنكودة الحظ ، وقد احس بعجزه في هذا السبيل الوعر

وما طال وقوفه على باب المكتبة حتى رأى على مقربة منه رجلاً ينظر اليه والى المكتبة بعين فاحص مهتم فاستغرب امره وما لبث ذلك الرجل ان تقدم منه وحياه وسأله ان يختلي به دقائق قليلة لاجل حديث ذي بال . فاحس جاك ان ذلك الحديث يتعلق بقضية مقتل سيده . فادخل الرجل المحل واختلى به في غرفة صغيرة منزوية هناك . فافهمه الرجل انه هو مفتش الشرطة لكرانج . واخذ يباحثه في المعضلة المعهودة ، حتى افضى بها الحديث الى مواضع الاشتباه في السيدة جوميني . فانتفض جاك عند الوصول الى هذا الموضوع وقال لجليسه :

— ان سيدتي اشرف النساء واطهرهن . وكانت لزوجها اوفى الزوجات فاذا سار التحقيق القضائي من هذه الجهة في القضية بعُد عن الطريق المستقيم بعداً شاسعاً

— ليست هذه الوجهة وجهتي انا . ولكن غيري معذور في التعويل عليها لاسيما بعد ما ادت الفتاة ايلوديا معلوماتها لدائرة الاستنطاق الامر الذي ايد موضع الشبهة في السيدة جوميني .

فقطع جاك الحديث على لكرانج قائلاً :

— لقد كانت تلك الفتاة افعى سامة وما قالت الذي قالته الا

Digitized by Birzeit University Library

عن خبث نية

— قد يكون ذلك وقد لا يكون ولكن المستنطق من واجباته ان لا يهمل شيئاً من الاقوال بغير دافع كافٍ لاهمالها

ثم اخذ لكرانج يبين الاسباب المسوغة لايقاع تلك التهمة على ارملة القتيل . وفي اثناء سردها امتقع وجه جاك وارتعدت اطرافه خوفاً وحنقاً . ولكنه عاد الى شيء من الاطمئنان حين قال له الشرطي :

— غير ان في المسألة تناقضاً يفيد السيدة جوميني ، وهو في هذا الوجه : اذا كانت تلك السيدة قد استخدمت عمانوئيل للفتك بزوجها ، فاين نذهب بذلك الخارج خلسة من المنزل بعد منتصف الليل الذي لا شك انه غير غريب عن المحل لانه عرف سر حركة الباب فدخل وخرج دون ان يستعين بالبواب او البوابة

واردف ذلك بقوله : لم تزل المسألة معقدة ولكني ارجو حلها . ولا لذة في نتيجة الحل اذا لم تتقدمه المتاعب والمصاعب . وبما اني اثق باخلاصك وحزمك يا مسيو جاك ارجو ان تكون على استعداد لمساعدتي في الامر حين احتاج اليك فيه

— بل الارتياح والشكر يا سيدي . ولكن كن واثقاً ان السيدة جوميني بريئة من هذه الجناية

فقال له لكرانج بصوت منخفض :

— هذا ما ارتئيه تماماً

فعد المسيو جاك هذه الكلمة من المفتش الشرطي القدير الشهير فتحاً مبيناً وفوزاً عظيماً فابرقت اسرة وجهه وقال له :

Digitized by Birzeit University Library

— احقيقة انك تعتقد براءة السيدة مرغريت

— كل الاعتقاد ولو حامت عليها هذه الشكوك والشبهات . ان معولي الاعظم في جميع مساعيَّ هو فحص اخلاق الناس بالفراسة . فمن كان مثل السيدة مرغريت له مالها من هذه الهيئة الشريفة مع الجرأة وصراحة اللهجة ونور الاخلاص في العينين واللحظ ، من كان مثلها فهيهات ان يكون من شرار الناس . بل يكون بينه وبين الآثام والفظائع مسافات شاسعة

فظل جاك ساكتاً مصغياً الى ذلك الحديث الذي وقع من قلبه موقع المن والسلوى . ثم استأنف لكرانج حديثه قائلاً :

ان رجال القضاء في تعويلهم على هذه الجهة الجديدة بتحقيقهم ، وجهة السيدة جوميني ، استناداً الى ما سمعوه ، يتعبون عبثاً ويضيعون الوقت سدى . فلا بد لهم من النكوص على اعقابهم وهدم جميع ما بنوه . يظنون الآن انهم بلغوا موضعاً قصياً في سبيل حل المعضلة . واما انا فأرى مساعيهم تنطبق على الكلمة المأثورة : تمخضت الجبال فولدت فارة . ولعل المسألة التي نسعى جميعنا وراءها وقد اقلقت باريس وحسبها الناس من معضلات الدهر ومعجزاته ليست الا امراً تافهاً بسيطاً حين نصل الى نتيجتها . هكذا تحدثني نفسي

وبعد ذلك جعل الرجلان يفحصان بينهما امر مستخدمي المحل وسكانه ، لان الجاني يجب ان يكون احدهم على ما قال لكرانج موافقاً في ذلك آراء رجال القضاء . فقال المسيو جاك انهم كلهم منزهون عن مثل هذه الجريمة الفظيعة

فقال لكرانج : اما لويس فلا شك عندي انه غير اهل للفتك

بعباد الله وان اعتاد الفتك بسلامة الذوق في مـا ينظمه وينثره . واما كوراشون فشقي بسيرته دون شقي باويس . وهو مع ذلك قـد يكون خيراً مما اظن . فما رأيك فيه ؟

— لم ننكر عليه شيئاً من سيرته فهو رجل عمل وجـد وكد وان كان فيه شيء من الطيش . حظيت فتـاة من العاملات لديه واولع بمحبتها وبعد ايام يسيرة يقترن بها . فهل يفكر في اقتراف الجرائم ما دامت هذه الحال حاله ؟

— وما قولك في الفتاة اياوديا

— اني وان كنت لا احبهـا واشمئز من اخلاقها لا اشك في انها بريئة خالية من كل وصمة بقتل سيدنا جوميني

— الا يمكن ان تكون مطلعة على شيء من الاسرار في هذه القضية وان لم تشارك القاتل في فعلته ؟

— لا اظن ذلك

— اما انا فلا استبعده . هل اطلعت عـلى مـا قالته في دائرة الاستنطاق مما يلوث السيدة مرغريت اشد التلويث

— نعم

— ما الذي حملها على ذلك ؟

- الحسد والبغض

ثم ذكر للشرطي بالاختصار اسباب هذا الحسد منها والبغض للسيدة جوميني . فاجابه لكرانج :

— قد يكون ما ذكرت هو الباعث لها على ما فعلت . ولكن قد يكون معه باعث آخر

Digitized by Birzeit University Library

— ما هو

— هو ان تسعى الى تضليل رجال القضاء في سبيل تحقيقهم ، فيبعدوا عن القاتل الاثيم ويطمئن على نفسه منهم فينام ملء عينيه توماً هنيئاً لا انامه انا ولا انت في هذه الايام

وكان لكرانج قد عرف بالتفصيل ما قالته ايلوديا في دائرة الاستنطاق . اطلعه على ذلك صديقه ميتلوا كاتب المستنطق . وكثيراً ما استطلع لكرانج منه ما يجري في دائرتهم لكي يستعين بها في مساعيه وانجاحه في الحوادث الجنائية

خرج لكرانج من مكتبة جوميني وما سار شوطاً طويلاً حتى رأى في احد المنعطفات على مسافة قصيرة منه الفتاة ايلوديا والشاب كوراشون يتحادثان همساً باهتمام واحتياط . فاستدعى هذا الامر منه انتباهاً عظيماً واثار في ذهنه افكاراً مختلفة

١٩

ايلوديا وكوراشون

بعدما سمعت الفتاة ايلوديا من المسيو جاك قوارص الكلام توبيخاً لها وكشف عما تضمره عادت الى غرفتها في المحل وهي لا تكاد تعي شيئاً لما استحوذ عليها من عوامل الغيظ والحنق والحزي . فظلت كذلك عدة دقائق تحاول التلهي بالشغل والنظر في دفاترها ومراجعة بعضها فلا تستطيع قراءة ولا كتابة . ثم حانت منها التفاتة

واذا بخادم المخزن الشاب كوراشون يختلس اليها النظرات مبتسماً ابتسامة تهكم او ممازحة او تودد ، فان ابتساماته كانت غريبة تحتمل المعاني الثلاثة ولم يستقر ذهن ايلوديا على واحد منها . وكان كوراشون جالساً على انفراد غير بعيد عن محل الفتاة الا اربع او خمس اذرع . فاستغربت منه تلك النظرات والابتسامات وحولت نظرها عنه

ولكن هيئته اعادت اليها تمام صوابها فاخذت تستعرض المشهد المهين المؤلم الذي وقع على رأسها منذ هنيهة وقوع الحسام المهند . فاحست انها اصبحت لا تستطيع المحافظة على مركزها في محل جوميني بعدما جرى منها وعليها ما جرى . فترددت بين تعجيل استعفائها وتأجيله اياماً يسيرة . ولما كانت تلك الافكار تتنازعها اذا بالمستنطق المسيو كورسيل ينزل السلم من عند السيدة جوميني ووراءه كاتبه يتلوا متأبطاً دفاتره وقد ظهرت علامات الخجل والخيبة على وجه الرجلين مما لم يفت ايلوديا ادراكه . وكانت تعلل نفسها بعدما اطلعت المستنطق على تلك الافادات اللاذعة الممتلئة خبثاً ودهاء ولؤماً ان يستعملها سلاحاً ماضياً لا تفل مضاربه ولا ينبو عن ضريبته وان ينشأ عن استعماله وضع السيدة جوميني موضع التهمة بحيث ينتظر ان يطلبها المستنطق الى مكتبه لاتمام استنطاقه لها والامر بتوقيفها ريثما تنجلي في القضية نتيجتها الاخيرة . أملت ايلوديا ان ترى الرجلين منصرفين وعليهما سمات الفوز والظفر والسيدة مرغريت وراءهما مأمورة باتباعها الى المحكمة فلما لم تر شيئاً من هذا الامر بل رأت من الدلائل ما ينافيه ويناقضه صحت عزيمتها

على الاستعفاء العاجل . فكتبت رسالتها الى المسيو جاك طالبة منه اعفاءها واعطاءها بقية مطلوبها من حسابها على المحل وهكذا فعل كما مرت معنا الاشارة

تناولت ايلوديا محفظتها ووضعت فيها الادوات واللوازم الصغيرة المختصة بها وكانت كلها في احد الدروج ثم انصرفت

لم يكن بالها ليشتغل بالبحث عن مركز جديد تشغله بل كانت مطمئنة من هذه الجهة لما تعهده في نفسها من المقدرة والنشاط في العمل ورغبة كثيرين في استخدامها وقد عرض عليها بعضهم قبل ذلك اليوم مركزاً ذا مرتب اكبر من المرتب الذي تتقاضاه في محل جوميني فلم تقبله . وكأنها اصرت على البقاء في محلها بدافع البغض والحنق لعلها تتمكن من ايقاع اذى بصاحبة المحل حتى اتاحت لها الفرص شيئاً مما تمنته

كانت تقول في نفسها : لا بد لي من الانتقام . وكلمتها تلك بعيدة اقصى البعد عن الحق والصواب . فالانتقام لا يكون الا لمظلوم من ظالم او لمعتدى عليه من معتدٍ . واية مظلمة نالت ايلوديا في محل جوميني ؟ غير ان الاشرار الذين طبيعتهم طبيعة شر وضرر لا يقدمون على فعلاتهم الشنيعة ولا ينوون نية جهنمية الا بعدما يسكتون صوت ضميرهم بسوء تأويل وتعليل ويخلقون من العدم وجوداً ومن الوهم حقيقة ويقولون اننا مظلومون او ان حقنا مهضوم من الجهة الفلانية والجهة الفلانية . وهكذا كان شأن الفتاة ايلوديا في انتحالها عذراً وحجة للانتقام من السيدة جوميني . وقد علم القارىء ما حجتها وما عذرها الذي تشبثت به للاصرار على

Digitized by Birzeit University Library

حسدها وحنقها

سارت ايلوديا في طريقها . وبينما هي في بعضه التفتت وراءها واذا بالشاب كوراشون يتأثرها محدقاً اليها بنظره مبتسماً ابتساماته الغريبة . فلما وقع نظرها عليه استوقفها باشارة فوقفت . ثم انتحى بها ناحية من الطريق غير مطروقة فقالت له :

— ما شأنك يا كوراشون

— اذا شئتِ تحدثنا قليلاً

— في اي موضوع ؟

— في ما تفكرين فيه

— وما هو ؟

— كيفية استعفائك وخروجك من المحل . وخطة الانتقام الواجب عليك اتباعها

— فارتاعت ايلوديا قليلاً من هذه المفاجأة وقالت :

— اوضح ما تقول

— انه لا يقل وضوحاً عندك عما هو عندي ولكنك ترغبين في ان تعلمي كيف اطلعت انا عليه

قال ذلك وقد تحولت ابتساماته الى ضحك وقهقهة . ثم اعلمها انه واقف على ما جرى عليها لانه سمع كلمات المسيو جاك معها اذ كان كوراشون بقربها وليس بينهما الا حاجز خشبي رقيق وهو اي كوراشون في محله هناك ينضد شيئاً من الكتب في صناديقها . وبعد ما سرد لها ما سرد عقب حديثه بقوله :

— انك تودين الانتقام فاذا شئت ساعدتك عليه

Digitized by Birzeit University Library

– كيف تساعدني ؟ ولماذا ؟ واي علاقة خصوصية بيني وبينك ؟

– انا وانت كلانا من صغار المستخدمين واولئك من الرؤساء وبين الفريقين عداوة طبيعية او خصومة على اقل تقدير . وكل صغير للصغير نسيب ، كما كل غريب للغريب قريب . ولعل لي فوق ما ذكر مصلحة خصوصية في مساعدتك على الانتقام

والظاهر ان شدة حنق ايلوديا وحرصها على نيل وسيلة للتشفي اخرجاها موقتاً عن طبع الرصانة فلم تنفر من كوراشون ولا ارتابت في امره . بل قالت له . كيف تساعدني وكيف تقدر على ذلك ؟

– لاني اعرف المذنب . اعرف من فتح باب المنزل للقاتل الاثيم في جوف تلك الليلة

فاجفلت ايلوديا لهول تلك العبارة واتهمت اذنيها فيما سمعته . فسكتت قليلاً سكوت دهشة ثم قالت لمحدثها :

– ويحك ما تقول ؟ هل تعي ما قلت . اجادٌ فيه انت ام هازل

– اني اعرف ما اقول واعيه . وانا جاد فيه كل الجد . ولا انكر اني معتاد الهزل ولكن في غير هذا الموقف

– اذا كان ما تقول صحيحاً فلمَ لم تذكر القاتل وتدل المحكمة عليه

– لاني لم اكن استطيع ذلك

– عذرك هذا لغز من الالغاز

Digitized by Birzeit University Library

— بل هو معقول مقبول . ولا بد ان توافقيني عليه متى اوضحته لك

— هات كل ما عندك

— اننا على الطريق . ومكاننا هنا لا يلائم ما نحن فيه فاذا شئت استكناه الامر تماماً فهلمّي معي الى قهوة صغيرة اعرفها وصاحبها من اصدقائي المخلصين فهناك نتنحي منها ناحية نكون فيها بنجوة عن الناس وعيونهم وآذانهم

فترددت اياوديا قليلاً في اتباعه ولم ترقها مرافقته الى تلك القهوة . ولكنه لما اصر على ذلك وهي تلتهب شوقاً الى استتمام حديثه تبعته واتخذا احدى زوايا القهوة مجلساً لهما وبينهما وبين الحضور هناك وهم قليلون ستار قماش كثيف . واما صاحب القهوة صديق كوراشون فاقبل عليه مسلماً باشاً في وجهه . وبعد ما تبادلا حديثاً وجيزاً لا طائل تحته انصرف صاحب القهوة وبقي المتآمران وحدهما

فادنى كوراشون كرسيه من كرسي جليسته حتى كادا يتلاصقان واخذ يحدثها همساً وتسأله همساً . قالت له :

— كيف لم تستطع ذكر المجرم والدلالة عليه

— لاني لو فعلت لغطست في القضية من قمة رأسي الى اخمص قدمي ، ولعنيت نفسي عناء كبيراً باعتبار اني الشاهد الاعظم والسند الاكبر في هذا الحادث ، ولما كنت الى الآن قد انتهيت من مواجهة رجال الشرطة ورجال القضاء . وكلا الفريقين مع حفظ احترامنا لهم يفضل ان نرى اقفيتهم على ان نرى وجوههم في امثال

هذه المشكلات والمعاملات . ولا تلبث خطيبتي وامها ان تلومانني وتتسخطا علي اشد التسخط لاني زججت نفسي في هذا المأزق الحرج . واهم من ذلك كله لخسرت مركزي في محل جوميني من اول يوم افوه به بما اعلم كما خسرت انت مركزك . واذا كان ذلك لا يهمك فهو يهمني انا لاني لا اؤمل سرعة الاستخدام كما تؤملين . فتأملي حينئذٍ كيف تكون حالتي وقد فقدت مرتبتي واصبحت مفلساً وانا على اهبة الزواج واداء نفقاته الكثيرة

— لا انكر ان عذرك في هذا الامر واضح . هات الآن السر الذي قدمنا لاجله

— اصبح الناس وبعض رجال القضاء يتهمون في سرهم السيدة جوميني نفسها . وقد خطوا في ظنونهم مؤخراً خطوة جديدة فصاروا يرجحون انها دفعت الشاب المعتوه عمانوئيل الى الفتك بزوجها . وهم في هذا مخطئون . نعم انها المسببة والمجرمة الاصلية ولكنها لم تستخدم لاجتراح الجريمة عمانوئيل بل شاباً غيره

فكادت ايلوديا تقطع انفاسها الى ذلك الحديث . وسألت جليسها باشارة من يدها وعينيها كأنها تقول : من يكون ذلك الشاب ؟ فعاد كوراشون الى الحديث قائلاً :

— منذ ايام يسيرة قبل مقتل جوميني كنت مجتازاً ساحة سان سولبيس فلمحت عرضاً السيدة مرغريت تتحدث الى شاب زري الهيئة واللباس ، والظاهر انه كان يعرفها ويألفها ولا يتهيبها في شيء ، تعرض عليه امراً وهو يرفضه بلهجة حادة . وما زالت به حتى اقنعته وطاوعها . فاختلست الخطوات نحوهما متنصتاً واذا بها تقول له بعد

ما اطاعها : غداً في هذا المحل وفي مثل هذه الساعة اوّدي لك ربع المبلغ . وبعد ذلك اوّدي لك بقيته . وهذا كان منتهى الحديث بينهما ثم افترقا كل منهما في طريق . وفي الميعاد المضروب من اليوم التالي حضرت الموضع وحضراه ولم يتحدثا الا كلمات وجيزة لم أفهمها . ولكني رأيت السيدة اعطت الشاب اوراقاً مالية . اي القسط الاول حسب وعدها . فلا بد ان يكون هذا الشاب القاتل مباشرة بامر ارملة القتيل وارشادها ، وهي التي فتحت له باب المنزل في جوف تلك الليلة مما شعرت به البوابة ملقينة واثبتته في دائرة الاستنطاق . ولا شك عندي ان القاتل حين وجد الخزانة الحديدية مفتوحة استوفى بنفسه على الفور بقية الاجرة . ولعله استوفى مضاعفها

فبهتت ايلوديا من هذا الحديث العظيم الشأن الذي لم يخطر لها على بال وطارت به فرحاً لانه يمكنها ان تنتقم من مرغريت فتوقعها في ورطة وبيلة وتغيظ بذلك المسيو جاك بل تكوي قلبه بجمر آكل

ثم خرج المتآمران من القهوة وقد لزما السكوت ثم عاد كوراشون الى الكلام قائلاً : فما لا ريب فيه ان المستنطق لو علم من الان ما نحن نعلمه لانفضّ الاشكال عنده . فهل لك ان تطلعيه على ذلك اذا كنت لا تكرهين لتلك المجرمة ظلمات السجون ولا سيف الجلاد ؟ . . .

فظلت ساكتة مفكرة . فقال لها : لا انكر ان الافضاء شفاهاً بهذه المعلومات يجر على صاحبتها تبعات عظيمة هي في غنى عنها .

Digitized by Birzeit University Library

ولكن ما قولك يا رفيقتي الكريمة بكتابة هـذه الاسرار على مطبعة الازرار (اي الآلة الكاتبة) وايصالها الى المستنطق . وفي بيتك مطبعة ازرار على ما اعلم

فظهر على وجه ايلوديا علامـة الرضى والقبول وان لم تنطق بذلك . ثم عزما على انتظار الحافلة اي الترامواي الكهربائي ليوصل كلاً منهما الى شارعه

وبينما هما في تتمة ذلك الحديث بعد خروجهما من القهوة شاهدهما الشرطي لكرانج يتسارّان . باهتمام وكان هو عائداً من محادثة المسيو جاك كما تقدم معنا . فراعه امرهما وقال في نفسه : ان وراء الاكمة ما وراءها

ولما ركبا الحافلة ركبها هو ايضاً وفي بعض الطريق نزلت الفتاة قاصدة بيتها وبقي كوراشون وفي مقعد آخر الشرطي لكرانج في اثره وذاك غير شاعر به

٢٠

رسالة غفل

تركت الفتاة ايلوديا الشاب كوراشون واعصابها في منتهى التهيج لما سمعته ووعته ، وكان امراً خطيراً وافق اميالها واهواءها وطفح به قلبها سروراً من حيث تدري ولا تدري . وكيف لا تكون هذه حالتها وقد اصبحت قادرة على ايقاع الاذى بمرغريت

Digitized by Birzeit University Library

وبصديقها ورئيس محلها جاك تيرتر ، وسيكون على مرغريت اذى محقق مضمون ان سلمت السيدة معه من عقوبة القانون لم تسلم من السنة الناس واحتقارهم وبغضهم لها ومن اسقاط منزلتها من عيونهم وقلوبهم طيلة حياتها . فستظل الشكوك العظيمة تحاصرهم بشأنها في مقتل زوجها وان لم يثبت عليها شيء من الجرم قانوناً

خرجت ايلوديا من تلك القهوة الصغيرة وهي على ما ذكرناه من التهيج والسرور الجهنمي لشعورها بالمقدرة على النكاية والشماتة وشفاء الحزازات القديمة من صدرها . وقد عزمت عزماً اكيداً على كتابة رسالة غفل اي غير مذيلة بتوقيع الى المستنطق تطلعه فيها على تلك المعلومات الجديدة التي تختصر عليه الجهد والعناء في قضية جوميني وتفتح امام عينيه طريقاً واسعاً ممهداً لاجل الوصول الى المجرم

هكذا كان عزم الفتاة ايلوديا وهي في القهوة . فلما برحتها وسلكت الطريق عائدة الى منزلها ووقعت انظارها على الناس والمناظر والمظاهر المختلفة ثم بلغت المنزل خف تهيجها العصبي الى ثلث ما كان عليه او ربعه . فتمهلت في ما نوته وترددت فيه بين السلب والايجاب . واخذت تعمل رأيها وبصيرتها على هدوء وسكينة . فقالت في نفسها ما الذي دعا كوراشون الى هذا المسعى الخبيث في نصب المكيدة . الكي يسرني ويرضيني ويسعفني في ما اشتهيه كما ادعى ؟ ان ذلك غير معقول فلم تكن قط بيني وبينه صداقة ولا

Digitized by Birzeit University Library

شبه صداقة كما لم تكن عداوة ولا خصومة . لماذا يحرص على اهلاك سيدته مرغريت وعهدي بها لم تسيء اليه قط بل كانت تعامله معاملة طيبة . لعل الشاب اقدم على ما اقدم عليه انتقاماً لسيده القتيل من قاتله ومسبب قتله ، فهو يعز عليه ان يذهب دمه هدراً . لا اظنه على طيشه واخلاقه الزقاقية اهلاً لهذه العاطفة الشريفة . ام لعله ينوي من وراء سعيه غرضاً كتمه عني

هكذا كانت الافكار والحيرة تتجاذب ايلوديا وهي مع ذلك لم تكن تعتقد ان لمرغريت يداً في مقتل زوجها وان ارتابت فيها بعض الارتياب استناداً الى تلك القرائن

وقد راعها امر الرسالة الغفل التي تنوي كتابتها وارسالها . راعها ذلك لا شفقة منها على مرغريت ولا خوفاً من وخز الضمير فضميرها كان تجاه اهوائها الشريرة ميتاً دفيناً . بل تريثت في الامر تهيباً من نتائجه ان لا تجيء على ما املته وقدرته ، بل ينقلب بعضها فيلحقها من وراء ذلك فضيحة واذى

وبعد هذه المناجاة بينها وبين نفسها احست بجوع شديد اذ فاتت ساعتان على ميعاد تناولها الطعام بسبب شواغلها الذهنية تلك . ولما لم تجد من نفسها نشاطاً الى تجهيز شيء من الطعام بيدها قامت الى اقرب مطعم منها وتناولت فيه غداءها

وبعد خروجها من المطعم قالت : الاحسن ان ارجئ قليلاً امر الرسالة ، وعلي الآن ان اسعى الى نيل مركز جديد . وكان احد التجار واسمه ويدزبورغ راغباً في استخدامها عنده وسألها ذلك مرة فاعتذرت وابت . فلما وصلت اليه سلم عليها وقال لها :

— كيف اراك هذه الساعة وهي من ساعات العمل خارج مركزك في محل جوميني ؟

— لاني استعفيت من هذا المركز

— كيف ذاك ولماذا ؟

— لان الحالة تغيرت فيه بعد وفاة صاحبه . فان رئيسه الجديد المسيو جاك الذي كان احد مستخدميه لا تنطبق اخلاقه على اخلاقي ولا مشربه على ما اريده من راحة بالي وحفظ كرامتي وانا اؤدي اعمالي لديه . لانه لا يخلو من خشونة واستبداد في المعاملة

وقد قدرت اني لا استطيع البقاء طويلاً تحت ادارته بل لا بد ان تحصل بيننا مشاجرة ومنازعة . فقبل حصولها تداركت الامر وقدمت استعفائي بالحاح فلم يسعه الا قبوله . ولولا ذلك لما استعفيت ، فان السيدة مرغريت احبها واكرمها ولا انتظر من قبلها ما يضيرني كما لا تنتظر هي من قبلي الا الامانة والنشاط مع صدق المودة لها . ولكن ما ينفعني ذلك ما دام العقد والحل والامر والنهي بيد المسيو جاك

— اصبت . وبما انك اصبحت طليقة اعيد عليك ما سألتك اياه قبلاً من العمل في محلي واما شروطي فتعرفينها وتعترفين انها خير لك من الشروط التي كنت مستخدمة بمقتضاها في محل جوميني . اتقبلين العمل عندي ؟

— نعم

— متى تباشرينه ؟

— متى شئت

— نحن في يوم الخميس افتأتين الينا صباح الاثنين القادم ؟

— نعم

— اذن قد اتفقنا ؟

— تمام الاتفاق

— بارك الله فيك

— والان استودعك الله

— الى الملتقى القريب . . . ولكن قبل انصرافك اخبريني ما الذي جرى في قضية جوميني ؟

— لم تزل معقدة . والظاهر ان القضاة ورجال الشرطة ضاقوا بها ذرعاً

— ولكن ما قولك في الاشاعات الشنيعة عن ارملة الفقيد بشأن مقتله ؟

— سمعت بعض تلك الاشاعات . وتأكد يا سيدي انها كاذبة جائرة بعيدة عن المعقول . ان سيدتي مرغريت من فضليات النساء وطاهرات الزوجات واشدهن امانة . وفضلاً عن ذلك فما الذي يدعوها الى اهلاك زوجها وهي في حماه راتعة بجاه وغنى طائل وراحة المعيشة ورغدها ، وقد جعلها وريثته الوحيدة من بعده اذا لم يرزقه الله ولداً

نطقت تلك الخبيثة بهذه الكلمات وقد تظاهرت بالتألم مما سمعت ، وبالحدة والغضب دفاعاً عن سيدتها . واما ويزبورغ فتبسم في وجهها واجابها

— رويدك ايتها الآنسة الطيبة القلب رويدك . ان كثيراً من

حوادث الدهر في عاصمتنا هذه باريس وفي غير باريس انكشف التحقيق القضائي فيها عن فظائع وجرائم اناس كانوا يظنون فوق سيدتك فضلاً وكرم اخلاق وطهارة سيرة وسريرة. وعلى كل حال ليس من الضروري ان السيدة فتكت بزوجها او انها استأجرت من فتك به. فقد تكون فظاعتها اخف من ذلك. قد تكون غضت النظر عن قاتله وهي تعرفه ولم تخزن لقتله لانه يسوغ لها مثلاً الزواج بزوج جديد تحبه وتهواه. واما جوميني فلم تكن مغرمة به ومن اين يأتي الغرام قلب امرأة في عنفوان صباها بزوج بلغ طور الكهولة. هذا الذي يعتقده الناس ويتحدثون به في مجالسهم. وهم فيه معذورون لقوة المستندات التي يستندون اليها، وهي مستندات اخذت المحكمة تعيرها جانب اهتمام وانتباه. وكيفما كان الامر فكل خفي سيظهر، وان غداً لناظره قريب. وما لنا ولهذه القضية التي لا ناقة لنا فيها ولا جمل. علينا ان نهتم بشأننا. لا تنسي ان توافينا صبيحة الاثنين

— نعم صبيحة الاثنين

ثم عادت ايلوديا الى منزلها وقد زاد قلبها اطمئناناً واماناً وجرأة على كتابة الرسالة الفصل الى المستنطق بعدما كانت قد تهيبت الامر قليلاً وخافت عواقبها. وانما تجرأت على ذلك بعد حديث التاجر معها لانها علمت منه ان الناس قضوا سلفاً بتجريم مرغريت وان المحكمة ميالة الى مجاراة الرأي العام في ذلك

فقالت ايلوديا في نفسها : ان هذه المرأة الوضيعة بالامس المتكبرة اليوم اصبحت في هذه القضية كأنها على حافة هوة سحيقة

Digitized by Birzeit University Library

لا يستلزم اسقاطها الى اعماقها الا صدمة واحدة . وانا ساجود عليها بهذه الصدمة، اي بالرسالة المقصودة الى المستنطق . ومن ثم كتبت رسالتها وذهبت لتلقيها في صندوق البريد . فمرت في طريقها بجنازة صبية فوق تابوتها اكاليل الزهر وعلى وجوه المشيعين علامات التفجع والتوجع . فلم يحرك هذا المنظر المهيب المحزن عاطفة تقوى وخشوع ولا عاطفة شفقة ورحمة في قلب الفتاة لكي تقلع عن مسعاها الخبيث بل واصلت سيرها والقت الرسالة في صندوق البريد

٢١

المستنطق بين مكتبه ومزرعته

انصرف المستنطق من منزل السيدة جوميني في مواجهته الاخيرة لها وهو ممتلئ غضباً وخجلاً وضجراً لما اسمعته اياه من لهجة احتجاج شديد وما رآه في هيئتها من جرأة ادبية وعزة نفس . فحار في امره وازدادت تلك القضية في عينيه اشكالاً وغموضاً حتى احس بالصداع وكان يرسل الزفرة بعد الزفرة وهو مستغرق في التأمل والتفكير ولا يجد للامر مخرجاً يرضيه . ومما زاده مساءة وغيظاً ان ظهور العجز منه عن حل القضية كل تلك المدة مما يمس سمعته وكرامته في منصبه وهو الرجل الذي اشتهر بالقدرة والحنكة وحاز ثقة الناس واعجاب رؤسائه ورصفائه واتباعه من يوم كان شاباً

غضًّا الى ان بلغ ابواب الشيخوخة

ولما ضاق صدره الى ذلك الحد قال في نفسه لعلي لا اخطئ اذا هربت من هذه البيئة وهذا الضجيج وهذه الضجة في العاصمة ودار المحكمة ولجأت الى مزرعتي يوماً واحداً حيث صفاء الجو وسكون الطبيعة ونقاء الهواء، فلعل هذا الانتقال يساعدني على استجماع قواي العقلية والتأمل بتؤدة وبصيرة نافذة في اسرار هذه القضية المشؤومة

وبناء على ذلك تظاهر بانحراف خفيف في صحته وطلب اجازة يوم لاجل الراحة. ثم ركب القطار قاصداً مزرعته وكانت مزرعة جميلة عامرة واقعة في سفح اكمة بجوار نهر المارن الذي شبت فيه بعد تلك الايام بسنوات قليلة معارك هائلة من معارك الحرب الكونية العظمى خلدت للفرنسويين بانتصاراتهم ذكريات مجيدة ملؤها البسالة والوطنية. وكان في المزرعة بستان اشجار وبقول وحديقة ازهار ودار لطيفة حسنة الهندسة. وكانت زياراته لتلك المزرعة نادرة، فلما رآه فلاحوه مقبلاً سروا بقدومه وتزاحموا على خدمته فلم يكلفهم شيئاً من العناء. ثم جاءته زوجة البستاني مسلمة عليه وكان زوجها متغيباً. وبعد اداء السلام قال لها اني جائع فهيئي لي من الطعام ما يتيسر عندك ولعلك تفرغين منه بعد ساعة ريثما اتجول قليلاً في البستان والحديقة وبعض الاراضي وغرف البيت. فقالت له تلك المرأة المسنة واسمها ايدوكسيا قد ظلمتني يا مولاي بزيارتك هذه الفجائية وما نحن نرى وجهك الكريم كل يوم ولا كل شهر او شهرين. فليتك اشعرتني بقدومك قبل وصولك لكي اتمكن من

تجهيز طعام فاخر يليق بمقامك

فابتسم المسيو كورسيل في وجهها واجابها :

لا بأس عليك ولا علي بهذه المفاجأة يا ايدوكسيا . وما كان يمكنني اشعارك بقدومي اذ لم اعزم عليه الا صباح اليوم . واما الطعام فلا اريده الا بسيطاً كاطعمتكم المعتادة فاني استطيبها جميعها وافضلها على كثير من اطعمة باريس التي يحسبونها فاخرة ويتنافس بها المتنافسون

قال هذا ثم تناول عصاه وتجول قليلاً في ما حواليه حتى بلغ ينبوع ماء ومرجاً نضيراً تظلله بضعة اشجار عظيمة عالية . فجلس تحت احداها وهبت عليه نسمات لطيفة مسكية النفحات فاحس بانتعاش في جسمه وروحه وقواه العقلية . واخذ يستعرض في ذهنه قضية جوميني ومتعلقاتها بمنتهى الصبر والتأني . فاوحى اليه التفكير ان مسألة بغض الشاب عمانوئيل لصهره القتيل مسألة بعيدة الامكان وان ما ذكرته الفتاة اياوديا من حادث اختطاف الخنجر ليس من الامور المهمة التي يعول عليها خلافاً لما ظهر له في اول وهلة وان استخدام السيدة مرغريت للشاب عمانوئيل في الفتك بصهره شيء يحتاج اثباته الى دلائل اقوى من الدلائل التي دستها في اذنه الفتاة اياوديا . ثم تذكر هيئة تلك الفتاة ونظراتها وحركات شفتيها في اثناء الحديث فقال لا ارى وراء هذه العلامات فتاة شريفة مستقيمة ، وما الذي دعاها يا ترى الى ما نطقت به في دائرة الاستنطاق مما يصم سيدتها مرغريت ويضعها موضع التهمة . امعتقدة هي ان سيدتها مجرمة او ان لها دخلاً في الجريمة ؟ لا اظنها تعتقد ذلك . فما الذي

دعاها الى دس تلك الاقوال والمعلومات وقد تطوعت تطوعاً في سرد اكثرها اذ لم تسأل عنها قط . لعل عامل الحسد دعاها الى ما فعلت ، والحسد امره مطاع وتأثيره مشهور بين بنات حواء . ام لعل عاملاً آخر دفعها الى تلك التفصيلات التي لا نعلم الى الآن صحيحها من فاسدها . هل يستبعد ان يكون لهذه الفتاة ايلوديا نفسها دخل في الجريمة وقد حاولت ابعاد جهة التحقيق عنها بتحويله الى جهة اخرى ؟ . . او هل يستبعد ان يكون المجرم شخصاً آخر تعرفه ايلوديا وتودّ انقاذه فسعت الى ابعاد التهمة عنه بما فعلت ؟ . . كل هذا غير بعيد الامكان . فلا بد لي اذن ان ادعو ثانية الى مكتبي الفتاة المذكورة واعود الى استنطاقها بتفصيل وتدقيق لعلي اهتدي من وراء ذلك الى سلوك الطريق السوي في تحقيقنا

فلما فكر المسيو كورسيل بذلك وعزم على انتهاج المنهج المذكور احس بانفراج شيء من الازمة وطابت نفسه . ثم نهض وتناول طعام الغداء في حديقة الازهار ثم نام القائلة مدة ساعة او اقل . ولما استيقظ عاد الى التجول في مزرعته وداره هناك متفقداً كل شيء ناظراً الى ما يجب اصلاحه وترميمه او تحسينه بحيث تقر عيناه بذلك الملجأ القروي الجميل حين يأتيه ويسكنه بقية ايام حياته بعد ان يحال على التقاعد . وكان ميعاده منه قد اصبح قريباً لا يستغرق الا ثلاث او اربع سنوات

واخيراً عاد في القطار الى باريس فبلغها قبل الغروب بنحو ساعتين واراد المرور بمكتبه الذي كان في طريقه قبل ان يدخل

منزله فوجد كاتبه المسيو ميتلوا في المكتب فقال له :

— يا عزيزي ميتلوا ألم تزل هنا ؟ كان يمكنك الانصراف والاستراحة في اثناء غيابي

— لا حاجة بي الى هذه العجلة في الانصراف . وانما استحسنت ان اتخلف هنا قليلاً ريثما اتمكن من تنسيق وترتيب كثير من الدفاتر والاوراق اراها مبعثرة موضوعة في غير مواضعها

ولم تكن حجة ميتلوا حجة صحيحة وانما اختلقها لحاجة مباحة يضمرها وهو البقاء في المكتب ريثما يعود رئيسه ويطلع على الرسائل الواردة باسمه وفي جملتها رسالة مخطوط عنوانها بالآلة الكاتبة خلافاً لغيرها اشتبه ميتلوا في امرها وقال : لعلها تشتمل على امر مهم ولعل لهذا الامر علاقة بقضية جوميني . فلا بد لي من الانتظار حتى اذا طالعها المسيو كورسيل ووجدها كما تكهنت عنها فلا بد ان يطلعني على فحواها ويستشيرني بشأنها حسب عادته في امثالها

وهكذا كان . فان المستنطق فتح الرسائل وقرأها بسرعة وكلها اعتيادية في اشغال ومعاملات رسمية ينتظرها

فلما بلغ تلك الرسالة وقرأها ظهر الاهتمام العظيم على وجهه . ولا بدع فقد كانت الرسالة الغفل التي ارسلتها اليه الفتاة ايلوديا . وبعدما اتم مطالعتها همساً قال لكاتبه : هذه رسالة سيكون لها شأن عظيم . ارهف اذنك وذهنك لاستماع فحواها . ثم اعاد قراءتها بصوت عال وهذا نصها :

« حضرة المستنطق الفاضل المسيو كورسيل

«ان حرصي على الحق وعلى مساعدتكم في تحقيقاتكم ما دمت قادراً على هذه المساعدة ، ورغبتي في اماطة القناع الكثيف عن وجه الجاني الاثيم في قضية المرحوم جوميني تدعوني الى تقديم هذه الرسالة لكم . ولكن عندي اسباباً تضطرني الى التكتم ولهذا لم اوقع الرسالة باسمي

« سيدي . علمتم الى الآن ولا شك ان الرأي العام في باريس يرجح ان للسيدة جوميني دخلاً عظيماً في مقتل زوجها . والآن جئتكم بهذه اوضح لكم استناداً الى معلومات جديدة مهمة ان الرأي العام غير مخطىء في سوء ظنه بالسيدة المذكورة

«وتفصيل هذا الاجمال انكم اذا استدعيتموها واستنطقتموها في ما اعرضه عليكم بما يلي فلا اظنها تستطيع جحده وانكاره . سلوها اذا شئتم من ذلك الشاب الزري الهيئة الرث اللباس الذي كانت تحادثه على انفراد في ساحة سان سولبيس قبل مقتل زوجها بايام يسيرة؟ سلوها الم تقترح عليه امراً فتمنع وأبى في اوائل المحادثة ثم تمكنت من اقناعه فقبل وقالت له ان المبلغ سيدفع له ربعه في اليوم التالي بمثل تلك الساعة في الموضع نفسه واما بقية المبلغ فبعد ذلك؟ وفي الميعاد المضروب سلوها الم توافه الى ساحة سان سولبيس وتؤدي له اوراقاً مالية . ثم سلوها الم تقع الجريمة الهائلة ويقتل زوجها بعد مضي يومين فقط على ذلك الموعد؟

«ان من رآها بعينيه وسمع كلماتها باذنيه يكتب اليكم بما رأى وسمع يا حضرة المستنطق . فاذا اضفتم الى هذه المعلومات ما سمعتموه من بواب المنزل ان الباب سمعت صوت انفتاحه واقفاله في جوف

Digitized by Birzeit University Library

تلك الليلة وهو لا يفتح ويقفل الا بحركة سرية يعرفها اهل المنزل وحدهم أفلا تكون تلك السيدة التي دفعت اجرة الجريمة للشاب هي التي ادخلته المنزل واخرجته منه ؟

تقضي عليَّ المروءة ان افضي اليكم بما افضيت فاعملوا يا سيدي بما تقضي عليكم واجباتكم »

*

ولما انتهى المسيو كورسيل من تلاوة الرسالة التفت الى ميتلوا وسأله :

— ما رأيك في ما سمعت ؟

— الصحيح ان السيدة المسكينة اصبحت في ورطة وبيلة

— المرّل تتوجع لها وتدعوها مسكينة وتنزهها عن التهمة ؟ تكلم . افصح عن رأيك ؟

فتلجلج الكاتب قليلاً ثم قال :

— ان اعترفت انها المجرمة شاركتكم في رأيكم بشأنها

— ما اغرب اطوارك يا ميتلوا . لا بد من استنطاقها غداً . فغداً امامنا موعد عجائب وغرائب

عدَّ المسيو كورسيل تلك الرسالة فصل الخطاب في القضية ومدعاة راحة له ونصر على ما قاساه من متاعب ومصاعب . وفي خفارة تلك الآمال الوطيدة انصرف الى منزله

Digitized by Birzeit University Library

بين الصديقين ميتلوا ولكرانج

واما كاتب المستنطق المسيو ميتلوا فقد انصرف من المكتب وكله كآبة وغم وحيرة وارتباك لما سمعه من فحوى تلك الرسالة الغريبة ولما في تلك المعلومات من الخطر العظيم على السيدة جوميني. وكان الرجل قد مال قلبه الى السيدة المذكورة شفقة عليها واعجاباً بما توسمه من صدقها وشرفها وكرم اخلاقها حسب فراسته وملاحظاته العديدة لها في اثناء التحقيق بقضية مقتل زوجها

وقد ظل قلبه يحدثه بانها بريئة كل البراءة لا تستحق شيئاً من سوء الظنون التي تحوم حواليها حتى بعد ظهور تلك الرسالة الغفل. ولكنه مع ذلك علم ان مركز السيدة بسبب تلك الرسالة اصبح في منتهى الحراجة وقال في نفسه : ان هذه المنكودة الحظ ستدعى صبيحة غد الى دائرة الاستنطاق عندنا فاذا لم تذكر اسباباً واضحة جلية لموقفها مع ذلك الشاب في ساحة سان سولبيس وما كان الحديث بينها وبينه ولم ادت له اوراقاً مالية، اذا لم تثبت ان هذه الحوادث لا علاقة لها البتة بقضية مقتل زوجها فلا بد ان يعدّها المستنطق متهمة ويأمر بزجها في السجن موقتاً ريثما يثبت جرمها عن يد المحكمة فتنال العقوبة القانونية الهائلة إما القتل وإما الحبس المؤبد

ثم تطرق ميتلوا من تلك الافكار الى التفكير في من ارسل

تلك الرسالة الغفل يا ترى ؟ وما الذي دعاه الى ارسالها . تأمل في الامر قليلاً فلاح له شبح الفتاة ايلوديا التي كان يراها بفراسته من ذوات الخبث والدهاء والرياء ولعلها تكره السيدة مرغريت وتضمر عليها حقداً . وقد رجحت عنده صحة فراسته في الفتاة بعدما سمعها تؤدي في دائرة الاستنطاق تلك المعلومات وتلك الوخزات المؤلمات التي لم تخرج في نظره عن كون اكثرها دسائس ومكايد . فكر في ايلوديا ولم يستبعد عليها في اول الامر ان تكون هي صاحبة الرسالة ثم اعاد التفكير فوجد ظنه بعيداً عن احكام العقل لانه قال : كلا . ان الفتاة ايلوديا ينبغي ان لا تكون هي صاحبة الرسالة الغفل لانها لا تعلم شيئاً من فحواها . لا تعلم وقوف السيدة مرغريت مع شاب زري الهيئة واللباس ومحادثتها معه لامر طالبته به فرفضه ثم قبله وجعلت له عليه اجرة ادت له بعضها في اليوم التالي . لو كانت تعلم هذه الامور او شيئاً منها لاستندت اليها في دائرة الاستنطاق لايقاع الخطر على مرغريت عوضاً عن ان تذكر حادث اختطاف الشاب الابله للخنجر وتهديد جوميني به ، الى آخر ما هناك من متعلقات ذلك الحادث الذي ليس له بعض خطورة ما جاء في الرسالة الغفل . فلا بد ان يكون صاحب الرسالة غير الفتاة ايلوديا

حار الرجل في امره بعد طول الاخذ والرد والنقض والابرام في تلك الافكار . ثم قال لا بد لي ان اذهب الساعة الى صديقي لكرانج فهو مثلي يعتقد براءة ونزاهة السيدة جوميني ويود انقاذها من هذه الورطة . اذهب اليه واطلعه على فحوى الرسالة الجديدة

Digitized by Birzeit University Library

فلعله يرى دواء شافياً او مخففاً لهذا الداء الخبيث

قال ذلك واندفع الى قهوة يعهد لكرانج ينتابها في تلك الساعة . واذ لم يجده فيها جلس ينتظره وطلب لنفسه كأس مشروب ثم كأساً ثانية ثم اخذ يتلهى بترتيب ورق اللعب على المنضدة امامه باشكال مختلفة . واخيراً عيل صبره فنهض وقصد منزل لكرانج فوجد هناك زوجته وامّه وبعد ما حياهما قال لهما :

— ابن لكرانج الم يعد الى البيت ؟

فقالت الام : كلا لم يعد

وقالت الزوجة : ترك البيت منذ الصباح فلم نرَ بعد ذلك وجهه . لعلك تطلبه لحاجة مهمة حسبما يظهر من هيئتك ؟

— نعم

— لعل تلك القضية تتعلق بقضية جوميني ؟

— نعم . وقد قصدت الى القهوة التي يأوي اليها في مثل هذا الوقت . وانتظرته هناك عبثاً نحو ساعة

فقالت له الام :

لعله يعود الينا بعد قريب . تفضل وانتظره هنا واذا شئت فهلمَّ الى تناول العشاء معنا

— شكراً لكما . انا منصرف الآن الى منزلي حيث انتظره الى الساعة العاشرة (وكان الوقت مساء) . فارجو منكما متى عاد ان ترسلاه اليَّ

— حباً وكرامة

خرج ميتلوا من منزل صديقه وسار قاصداً منزله هو . وبينما كان في بعض الطريق التقى بصديقه المومإ اليه لكرانج فعاتبه على ما سبب له من العناء بالتفتيش عنه . فاعتذر اليه بانه كان مشغولاً طول ذلك النهار ثم سأله :

— ما الداعي يا عزيزي ميتلوا الى لجاجتك في طلبي ؟

— الداعي اليه امر عظيم بل طارئ جديد غريب

— هل له علاقة بقضية جوميني ؟

— اشد علاقة وافظعها وابغضها الى قلبي وقلبك

فقطب لكرانج وقال : اوضح ما تقول

فاخذ ميتلوا يروي لصديقه فحوى تلك الرسالة المشؤومة فاصغى اليه لكرانج اتم الاصغاء . ومن الغريب ان علامات استبشار ظهرت في وجهه عوض علامات الغم والارتباك . ولما انتهى من حديثه قال له

— ان ما قصصته علي فيه طلاوة الامر الجديد وفكاهته

فاغتاظ ميتلوا من هذه العبارة واجابه :

— ويحك ما ابلدك ! اتقول انه طارئ ذو طلاوة وفكاهة بدلاً من ان تقول انه محزن مؤسف ذو خطر عظيم على تلك السيدة المنكودة الحظ . عهدي بك انك تعتقد بشرفها وترثي لها مثلي . فهل تغير شعورك يا لكرانج ؟ لا بد ان تحضر السيدة غداً الى دائرة الاستنطاق واذا لم تستطع رد هذه الاقوال ودحضها بصورة قانونية معقولة فلا بد من توقيفها باعتبارها متهمة بجناية فظيعة . الى هذا الحد وصلت الحال . فاي دواء عندك ؟

— سننظر في الدواء ونبحث عنه . ولعلنا نوفق غداً لما لم نوفق له اليوم

قال لكرانج ذلك واستأذن صديقه بالانصراف . واما ميتلوا فلم تعجبه منه هذه الخطة فنكس رأسه وعاد الى الاستغراق في افكاره وهو عائد الى بيته

٢٣

موقف رهيب في دائرة الاستنطاق

سلمت الخادمة العجوز مانيتا الى سيدتها تذكرة جلب من دائرة الاستنطاق اعطاها اياها احد مباشري المحكمة وفيها تكلف السيدة مرغريت الحضور الى الدائرة المذكورة الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي لاجل توجيه اسئلة اليها في ما يختص بقضية مقتل زوجها جوميني . فاستغربت مرغريت هذا الطلب الجديد واستشعرت من ورائه امراً جللاً ، ولكنها لم تعلم كنهه ولو بالتخمين . وكان قد اصابها نفور وحموضة نفس مما رأته وسمعته من المستنطق في اثناء الاجتماع الاخير بينهما ، فلم تستعد الى احتمال مثل ذاك المضض وتلك الشبهات الموئلة . ولما تذكرت ما قاسته في ذلك الاجتماع استدلت منه ان رجال القضاء ولو عرفوا بالقدرة والخبرة والنزاهة معرّضون لسلوك سبل معوجة في ابحاثهم وتحقيقاتهم بحيث يجعلون المجرم

بريئاً والبري، مجرماً وهم لا يدرون ولا يشعرون . استدلت على هذه الحقيقة الجارحة قياساً على ما جرى لها فصاحت : ويلاه ! . ويلاه ! . ما اضعفك وما اسخفك ايتها المحاكم البشرية وان اعتدنا ان نسمي اصحابك رجالاً فضلاء عظاماً ! ما اقرب ضياع الحق فيك وتأييد الباطل على ايديك ! وما القضاء العادل المأمون المضمون الاَّ لديكَ يا ربي يا ابا الانوار . فاليك وحدك ملجأي وعليك وحدك اتكالي ، انا المرأة الارملة الضعيفة الغريبة المظلومة . يا فاحص القلوب والكلى وعالم الغيوب والسرائر اشملني بسترك ولا تضن علي بنصرك

ولما حان الميعاد المضروب ذهبت الى دار المحكمة بقدم ثابتة ودخلت دائرة الاستنطاق . فسلمت على المستنطق وكاتبه فرداً السلام ولا نعلم أحست بشيء مما يضمره الكاتب من عطف عليها واعجاب بها . ولما استقر بها المقام التفت اليها المسيو كورسيل وخاطبها بلهجة لينة لا تخلو من جفاف المظاهر الرسمية

— دعوتك ايتها السيدة لاني اتوقع من تجديد الحديث والاسئلة معك ان اتبين شيئاً جديداً يفيدنا في قضية مقتل المرحوم زوجك ولا اظنك الا راغبة في كشف اللثام عنها

— اني راغبة في ذلك كل الرغبة يا حضرة المستنطق . ولكني على ما ظهر لكم غير قادرة على مساعدتكم فيه . لانه ليس عندي من المعلومات الا ما افضيت به اليكم في جلستين قبل هذه الجلسة . واما اذا اعدتم عليَّ سؤالكم القديم مَن أتهم في مقتل المرحوم زوجي او في مَن اسيء الظن فجوابي على هذا السؤال تعرفونه اي

اني لا اتهم احداً ولا أسيء الظن في احد

— راجعي نفسك اليس عندك شيء من الشبهة في مستخدمي محلكم ؟

— مطلقاً . مطلقاً !

— اترين انهم كلهم منزهون عن هذا الامر ؟

— هذا الذي اراه

وقد مرَّ معنا ان المستنطق المسيو كورسيل لما استعرض على ذهنه وذاكرته وهو في مزرعته امس ذلك اليوم شتى الاقوال والمعلومات التي اتصلت به في قضية جوميني استضعف من بينها ما قالته الفتاة ايلوديا واساء الظن في الفتاة المذكورة ورجحت لديه انها كانت خبيثة النية في اقوالها وانها قد يكون لها دخل في الجريمة، وانما سعت بقول ما قالت الى ابعاد وجهة التهمة عنها او عمن واطأته على ارتكاب الجريمة . مر معنا ذلك وان المستنطق نوى استقدامها لاعادة استنطاقها بتدقيق واستقصاء لعله يحصل على افادة جديدة او يهتدي الى فكر جديد . ولكنه بعدما عاد من المزرعة الى مكتبه وقرأ الرسالة القفل واطلع على تلك المعلومات الهائلة التي تلصق التهمة بارملة القتيل عدل عن رأيه في اتهام ايلوديا وعاد الى مضاعف ما كان يخامره من الشبهة في تلك الارملة . فاراد في سياق الحديث الدائر ساعتئذٍ بينه وبينها ان يجس نبضها من حيث لا تشعر ويسألها بنوع خصوصي عن رأيها في الآنسة ايلوديا قائلاً في نفسه لعل هذه السيدة اذا كانت مجرمة تغتنم الفرصة السانحة امامها وتذكر ما يعد تهمة او شبه تهمة في تلك الفتاة بحيث تبعد

عن نفسها خطر الشك والارتياب من قبل التحقيق القضائي . ومن ثم استأنف استنطاقه مخاطباً السيدة مرغريت :

— قلت ايتها السيدة انك لا تشكين في احد من مستخدمي محلكم . وهكذا رأيك ايضاً في الآنسة ايلوديا؟ تبصري في الامر ولا تعجلي في الجواب

— لا حاجة بي الى التردد ولا الى التمهل في التعبير عما اعرفه واشعر به . اني احسن الظن في جميع المستخدمين يا مسيو كورسيل ولا استثني من بينهم الآنسة ايلوديا . فانا معتقدة ببراءتها من هذه الجهة . واما اني اشكو ما ظهر من خبثها بما قالته عني امامكم فهو امر آخر لا يجيز لي ولا لغيري اتهامها بتلك الجناية الفظيعة

ولما نطقت بذلك ظهرت علامة ارتياح على وجه الكاتب ميتلوا الذي كان كله آذاناً صاغية ولم يفته ما قصده رئيسه من جس نبض السيدة بتوجيه السؤال الاخير اليها

واما المستنطق فلما سمع جواب مرغريت قال لها :

— لماذا يا ترى قصدت ايلوديا ايقاع الاذى بك ؟

— لانها تكرهني بعامل حسد وحنق . وما كنت شاعرة بكراهتها قبل ذلك الموقف . بل كنت مغرورةً بتدليسها واحسبه وداً صافياً

— لم اضمرتْ عليك حسداً وحنقاً ؟

— لاني عُينت لامانة الصندوق في محل جوميني وكانت طامحة الى هذا المركز ولا علم لي بذلك ، ثم لان المسيو جوميني اختارني

له زوجة وقد أملت ان تكسب هي رضاه وحبه فيتزوجها ولا علم لي بذلك

— افلا تشكين فيها ولو قليلاً بقتل زوجك ؟

— كلا وحاشا

— ما اكرم طباعك واعظم فضلك وفضيلتك

وكأنها استشعرت من لهجة المستنطق في هذه العبارة بعض تهكم . فاجابته برزانة وعبوس :

— لسنا ازاء هذا الامر يا سيدي في مسألة كرم طبع ولا فضل ولا فضيلة . بل نحن في موقف قضاء رسمي يدور محوره على احقاق الحق وابطال الباطل

فعلت وجه المستنطق حمرة خجل خفيفة وقال :

— شكراً لك ايتها السيدة فانك تلقنينني درساً مفيداً جديداً في منصبي هذا القديم . . . .

— اذا كانت عبارتي قد ساءتك فاني اسألك صفحاً . ولعلك في عبارتك السابقة لم تقصد تهكماً لا ترضاه لنفسك ولا ارضاه لنفسي منك

— لنعد الى بحثنا . ما قولك في ما أشيع عن امكان اغتيال المسيو جوميني بيد ابن حميه الشاب المعتوه عمانوئيل

— هذا رابع المستحيلات يا سيدي . ومن الغرائب ان رجال القضاء يعيرون آذاناً صاغية الى مثل هذه الاقوال

— رويدك يا سيدة . ان رجال القضاء تتطلب منهم واجباتهم ان يتشبثوا بكل شاردة وواردة ثم يميزوا على مهل بين الغث

والسمين منها . ان زوجك قُتل والذي ظهر لنا من الدلائل العديدة ان قاتله اما ان يكون من سكان المنزل او مستخدمي المحل . واما ان يكون احد سكان المنزل قد واطأ على الجريمة قاتلًا غريباً فادخله البيت ثم اخرجه منه بعد انجاز فعلته فاتحاً له باب الدار ثم مغلقاً اياه وراءه بالحركة السرية المخصوصة للباب . هذا التعليل اصبح نصب عيوننا حقيقة راهنة

وصل المستنطق في حديثه الى هنا ثم سكت ليرى اثر ما قال في وجه مرغريت فاذا بها ساكنة رابطة الجأش . ولكن ازداد بريق عينيها وظهرت رعشة خفيفة في جسمها . واما الكاتب ميتاوا فتململ قليلًا في مقعده ثم اطرق وتشاغل بالنظر في دفاتره . وبعد هنيهة استأنف المسيو كورسيل حديثه قائلًا :

— نعم ان رجال القضاء ايتها السيدة من حقوقهم وواجباتهم معاً ان يتشبثوا بكل شاردة وواردة . وان لا يتسرعوا في نسبة فضل او نقص الى اي كان من الناس في الدعاوي ومتعلقاتها . فقد علمنا بالاختبار الطويل ان ليس كل بيضاء شحمة ولا كل حمراء لحمة . ولا سيما الاسرار العائلية واكتنافها لمعيشة بعض الازواج . فكم اظهرت لنا الحوادث ان الزوجين قد يكونان بعيون الناس على اتم رغد وهناء ووفاق وهما في الحقيقة يصليان بمعيشتهما الداخلية جحيم احن وشقاق وبغض متبادل

قال المستنطق عباراته هذه متأنياً متمهلًا ثم سكت . . .

فاحست السيدة مرغريت كأن ناراً تلهب احشاءها بما تسمعه من ذلك التعريض . فنهضت عن كرسيها محمرة الوجنتين مرتفعة

الرأس حادة النظرات وتقدمت من المستنطق وصاحت بصوت يتجاذبه التوبيخ والغضب وعزة النفس وقالت :

— ايها السيد الى اي جهة تريد الوصول باقوالك هذه ؟

فاكبر المستنطق هيئتها ولهجتها فادركته بعض الحيرة وظل ساكتاً واجماً . فعادت الى مخاطبته قائلة :

— اسألك ثانية : الى اي جهة تريد الوصول باقوالك ؟ افصح عما تنويه وتضمره . لقد تبينت شيئاً من هذه التهم قبل الآن ولكني كنت اغالط نفسي واتجاهل ما يبدو لعينيّ ولا اريد التصديق بان امثال هذه الظنون الوخيمة السافلة تطرق اذهان اهل القضاء

جواباً على تمهيدك وتعريضك ياحضرة المستنطق اخبرك ويخبرك عني من عاشرونا اني انا والمرحوم زوجي المسيو جوميني كنا على وفاق تام ورغد معيشة وصفاء في ظاهر الامر وباطنه . لم نكن كاولئك الازواج الذين اشرت اليهم . كان المرحوم زوجي يحبني ويكرمني ويثق بي وكنت له زوجة امينة طائعة وفية اكرمه واعرف جميله علي واحرص على راحته ورضاه ورفاهيته . وما لبثت ان شعرت بحنو عظيم مني عليه . وكأن رجال القضاء لم تكفهم مصيبتي الاليمة بفقده ، ولم يكفهم عجزهم عن الاخذ بثاره وكشف قاتله الباغي الاثيم بل ارادوا ان يستروا عجزهم باتهام ارملته هذه الضعيفة اليتيمة المنقطعة الغريبة . اخذوا يتهمونها انها هي التي عملت على اهلاك زوجها . وزوجها كان سندها الوحيد في دنياها . اهذا كل ما توصل اليه رجال القضاء وحسبوه لانفسهم فتحاً مبيناً .

Digitized by Birzeit University Library

ولكنه بئس الفتح لا يهنئهم به عاقل منصف !

فظهر الغضب على وجه المسيو كورسيل ونهض عن كرسيه مثلما نهضت وقال لها :

ان جرأتك هذه لا تفيدك شيئاً . ليتك استخدمت عوضها الصراحة والاقرار . وليت الاذعان الى الحق حل لديك محل العناد والمقاومة اذن لوجدت من القانون مجال رأفة بك وسبيل تلطيف وتخفيف . اما وقد اخترت لنفسك خطة عوجاء فتهيئي لما تكرهين . ان عندي ما افحمك به افحاماً

ثم سكت كلاهما دقيقة وكانا كأنهما بطلان يتبارزان وقد كلّت سواعدهما من شدة الطعان والكفاح . واما الكاتب ميتلوا فقد راقه ما رآه من جرأة مرغريت وفصاحتها وقوة عارضتها ولكنه ظل شديد التخوف عليها

وبعد السكوت في تلك الفترة القصيرة عاد المستنطق الى الكلام بشيء من الهدوء وقال لمرغريت وقد عاد الى كرسيه :

— عودي الى كرسيك ايتها السيدة وانبئيني بصدق وصراحة عن كل ما اسألك عنه . فاذا كان شيء نافعاً لك في موقفك هذا فهو الصدق والصراحة

— لم اعتد غير الصدق والصراحة في كل حياتي يا حضرة المستنطق . واما الكذب والنفاق فهما ابغض الامور اليّ . واعظمها عاراً في عيني

— اخبرتنا في اجتماعنا الاول انك كنت فقيرة قبل زواج

المسيو جومينى بك

— نعم كنت فقيرة

— هل احببت المسيو جومينى قبل زواجكما ؟

— كلا

— وهل كنت تحبينه حين طلبك زوجة ؟

— كلاً

— فلماذا قبلته زوجاً وانت لا تحبينه

— لم اكن اكرهه . بل اكرمه واعجب به . واما الحب الذي تقصده في عبارتك وهو مرادف الهوى والغرام فلم اشعر بـه قط لا نحوه ولا نحو غيره من الناس . ومع ذلك لم اقبله زوجاً الا بعـد ان استشرت فيه من اعول على رأيه . فقال لي ذاك المشير الامين بما انك لا تكرهينه ولست عالقـة في حب سواه ، وانت مع عـدم كراهته تحترمينه وتعجبين باخلاقه وسجاياه ، فلا تترددي في قبوله زوجاً فسيتولد من الاعجاب والاحترام ميل كافٍ في قلبك اليـه ، وسيشفعه حنو الزوجة على الزوج . فعملت بتلك المشورة السديدة وحمدت عقباها

— من اشار عليك بذلك ؟

— الاب ماريستو احد الكهنة الموقرين في كنيسة سان سولبيس . ان هذا الكاهن معتمدي وملجإي في كثـير من الامور وهو ولي نعمتي الاول وبواسطته عرفت المرحوم جومينى وعرفني واستخدمني عنده قبل قراننا بنحو سنة

— اني اعرف الاب ماريستو فهو من رجال الفضل والتقوى . . .

الم يطمح اليك احد الشبان قبل زواجك بالمسيو جوميني ؟

— كلاَّ

— ورد عليَّ تقرير من دائرة الشرطة يقول ان لك سرًّا تحرصين على كتمانه

— كل ما لكم عليَّ ان لا اكتمكم شيئاً يفيدكم في مقتل المرحوم زوجي

احس المسيو كورسيل عند وصوله في الحديث الى هنا ان الامر مع تلك السيدة الذكية الجريئة اصعب منالاً مما تصور . ثم التفت ذهنه الى فحوى الرسالة الغفل فقال في نفسه انها لن تساعدني مساعدة كبيرة لان ما جاء فيها يمكن مرغريت ان تنكره بتاتاً اذا شاءت وليس لدينا بينات ولا شهود على صحة فحوى الرسالة وكاتبها محتجب عن العيون متكتم اشد التكتم بعدم وضع توقيعه

هذا الذي جال في خاطر المسيو كورسيل حتى ادركته السآمة وكادت تغلبه . فعزم على خوض المعركة الفاصلة فاما له وإما عليه ، وذلك بالوصول الى ما تتهم به مرغريت في تلك الرسالة . فقال لها فجأة كأنه يقصد بالمفاجأة سبر ما عندها من عزة بريء او ذلة مجرم

— اصحيح انكِ قبل مقتل زوجك بثلاثة ايام لقيت على انفراد شاباً في احد منعطفات الطرق وتحدثتما ملياً

فاضطربت قليلاً لهذا الخبر ولكنها تجلدت وقالت :

— نعم ذلك صحيح

Digitized by Birzeit University Library

— وكان الشاب فقيراً زريَّ الهيئة واللباس ؟

— نعم

— وعرضتِ عليه امراً لم يقبله في اول الامر فالحت عليه فقبل ؟

— هذا الذي جرى

— ووعدته بمبلغ من المال ؟

— نعم وعدته به

— وقلت له انك غداً تدفعين له ربع المبلغ واما بقيته فتدفعينها له من بعد ؟

— هكذا كان الحديث بيننا تماماً

— وفي اليوم التالي وافيته في مثل تلك الساعة الى الموضع نفسه واعطيته اوراقاً مالية ؟

— نعم . نعم .

فاهتز المستنطق لخطورة ما يسمع ولم يكن ميتلوا اقل منه انفعالاً . ثم قال :

— من هو ذلك الشاب ؟ وما كان الحديث بينك وبينه ؟ واي امر اقترحته فاباه ثم قبله ؟ ولمَ دفعت له مالاً ؟ وحين قلت له انه سيأخذ بقية المبلغ من بعد ، فما الذي قصدته بقولك « من بعد » ؟ فبعد اي شيء او اي حادث تريدين ؟ تفضلي بالاجابة على هذه الاسئلة

— لن اجيب عليها بحرف واحد فهي تتعلق بما يخصني وحدي وليس لاحد حق الاطلاع عليها

— هذه حجة واهية لا تجديك نفعاً . ان القضاء مشتبه بك لذلك الموعد بينك وبين الشاب المجهول . فعليك ان تزيلي موضع الشبهة عنك ان كنت بريئة

— ليس للذي جرى بيني وبين الشاب اقل علاقة بمقتل زوجي فما لكم وله ؟

— لا بد لنا من معرفة كنه ما جرى فهو عندنا مدعاة شبهات عظيمة . هل عرف زوجك ذلك اللقاء بينك وبين الشاب ؟

— كلا . واحسرتاه فقد ترددت قليلاً في اطلاعه عليه لعلمي انه لا ينفعه ولا يضره . ولكن لو انسأ الله في حياته شهراً واحداً لما اخفيته عنه

— وكيف دفعت للشاب مالاً ووعدته باكثر منه وزوجك لا يدري بشيء من الامر ؟

— المال الذي دفعته والذي وعدت بدفعه لي حق التصرف فيه تماماً لانه من مالي الخصوصي الذي وهبني اياه المرحوم زوجي عند اقتراننا

— بوحي لنا بكنه ما جرى في ذلك الموعد لكي تخلصي من التهمة

— قلت لك انه امر خصوصي يتعلق بي وحدي فلا اطلع احداً عليه

ولكن للقضاء في مثل هذه الاحوال الاستثنائية حق الاستكشاف لكي يعلم كيف يوجه تحقيقاته وظنونه ان كان فيها او في بعضها مخدوعاً شارداً عن الطريق السوي . قد اعترفتِ

فأتمي اعترافك ببقية ما جرى . والا فكيف تكشفين بعضاً وتخفين بعضاً ؟

— اخفي ما يحق لي اخفاؤه وليس لرجال القضاء حاجة اليه . واما قولك اني اعترفت فهو تعبير منحرف عن الصواب اذ اوردت حادثاً جرى ولم اعترف . فالاعتراف يكون بذنب او خطإٍ واذا لم يكن اقتراف فليس هناك اعتراف . وما انا مقترفة ذنباً !

— انك اذا اصررت على السكوت كانت نتيجة ذلك اثبات التهمة عليك . اي ان ذلك الشاب اغريته بقتل زوجك وجعلت له اجرة على فعلته ، وادخلته منزلكم ليلاً واخرجته منه بعدما فتك بزوجك . وانما الذي دعاك الى التخلص من جوميني زواجك به على غير حب بل طمعاً في ماله وجاهه . فلما اصبح المال بين ايديك سئمت نفسك زواجاً لم يرغب فيه قلبك واوردت القضاء على الزوج . ولا نعلم كيف تكون سيرة حياتك بعد هذا الحادث . . . اني امهلك اربعاً وعشرين ساعة لاجل اطلاعنا على ما سألتك عنه فان اصررت على السكوت بعد هذه الهدنة فبكل اسف آمر بتوقيفك في الحبس . ريثما تفرغ المحكمة من القضية وتحكم عليك بالعقوبة القانونية التي تستحقينها

فلما سمعت ذلك ارتعدت اي ارتعاد والتهبت وجنتاها من حمرة الغيظ وجمرته ونهضت قائلة :

— ان قتل المسيو جوميني كان جريمة فظيعة ارتكبها لئيم خائن . وزجي في اعماق السجون وانا في ثياب حزني وحدادي على القتيل جريمة فظيعة ثانية . هلمَّ الى ارتكابها يا رجال القضاء . وانت

Digitized by Birzeit University Library

يا حضرة المستنطق في طليعتهم . . . قلت انك تمهلني اربعاً وعشرين ساعة . وهذه مهلة لا جدوى من ورائها فسأظل صامتة غداً كما تراني صامتة اليوم . لك من الآن ان تأمر بحبسي

فتقلب الغيظ على المستنطق وقال :

لكِ ما تشائين . ثم فرك الجرس الكهربائي ليستدعي شرطيًا يقود المتهمة الى حبسها . . .

ولكن في تلك الدقيقة سمعت اصوات وجلبة عظيمة عند باب دائرة الاستنطاق . ونهض كثيرون لاستطلاع الخبر واذا بفتش الشرطة المسيو لكرانج يسوق امامه شابًا عليه علامات اليأس والخوف والانكسار ، وقد صبغت صفرة الموت وجهه فلم يزل به لكرانج حتى اوقفه امام المستنطق وقال له :

— يا مسيو كورسيل قد اتيتك بقاتل المسيو جوميني . هو هذا الذي امامك . فاليكه ! . . .

وكان ذلك المجرم الشاب كوراشون نفسه خادم مخزن جوميني

٢٤

كيف افلح لكرانج في مسعاه

لما لمح مفتش الشرطة لكرانج الشاب كوراشون والفتاة ايلوديا يتحادثان باهتمام عظيم وهما على انفراد في احد المنعطفات ، ثم رأى

ان حديثهما قد طال، رابه امرهما وتساءل : ما شأنهما في هذا الاجتماع وفي هذه المحادثة الطويلة العريضة . ايستبعد ان يكون لهما دخل في مقتل جوميني ؟

وقد علم القارئ ان لكرانج كان قد احس بخبث ايلوديا وسوء نيتها وفساد مسعاها في القضية لالحاق الاذى بالسيدة مرغريت . ولم يكن يحسن الظن بالشاب كوراشون وان لم تذمه مرغريت ولا المسيو جاك . وانما رأى من حركات ذلك الشاب وسكناته انه زقاقي النشأة والطباع والسيرة ، لا يستبعد الشر من قبله ولو كان بوجه الاجمال قريب القعر محدود المدارك لا طاقة له بالدهاء العظيم

فلما ركب كوراشون الحافلة الكهربائية (الترامواي) ركبها لكرانج ايضاً . ثم نزل كوراشون ولكرانج يتقصى اثره بكل رفق ومهارة . دخل كوراشون مخزناً لكي يشتري منه اثاثاً لبيته الجديد الذي سيسكنه مع عروسه بعد زواجه بها ولم يبقَ ليعاد الزواج الا بضعة ايام . ثم وافته في المخزن خطيبته وامها . وبعد خروجهما قصدا مطعماً . فدخل لكرانج ايضاً وجلس الى مائدة قرب مائدتهما وبعد ما اكل قليلاً رأى كوراشون والسيدتين يتحادثون وهو محتاج الى معرفة ذلك الحديث ولكنه اذا اصغى اليه جهاراً فقد يثير شكهم فيه فينقطعون عن الكلام وربما برحوا المكان واحترزوا من هذا الرقيب احترازاً يخيب مسعاه . ولهذا اخرج من جيبه جريدة واخذ يتشاغل بمطالعتها ويتظاهر باستغراقه في ما يقرأه . مع ان عينيه فقط كانا عند سطورها ، واما اذناه وعقله فكانت كلها عند اولئك

المتحادثين . لم تفته من حديثهم كلمة واحدة وعرف من سياقه ان كوراشون اخذ ينفق عن سعة في استئجار بيت جميل ومشترى اثاث وكسوة واستئجار رسام ماهر لاجل تزيين البيت بعدة رسوم ونقوش هذا مع هدايا كثيرة نفيسة قدمها الى خطيبته . وفي اثناء الحديث لامته خطيبته وامها على هذا الاسراف . فاجابهما مبتسماً : لا تخافي عليّ ، فلو لم اكن قادراً على هذه النفقات لما تحملتها

وبعد خروجهم من المطعم استصوب لكرانج ان يذهب الى صاحب المخزن الذي اشترى كوراشون الاثاث من عنده ، فلعله يستدرجه في الحديث الى افادات جديدة بشأن كوراشون

قصد لكرانج المخزن المذكور وصاحب المخزن لا يعرفه فرحب به وسأله :

— اترغب يا سيدي في مشترى شيء من عندي

— بل اشياء كثيرة

— الف اهلاً ومرحباً . ستجد ان شاء الله ما يسرك من جودة البضاعة وجمالها ورخص اسعارها

— بهذا الامل قصدت محلك فقد دلني عليه صديقي كوراشون واثنى على معاملتك ثناء جماً

— انه من خيرة الشبان سخاء وذوقاً وصدق معاملة

— لا شك انه ادى لك ثمن ما اشتراه نقداً

— نعم وهكذا فعل بدفع ايجار البيت وحساب النجار والخياط والخياطة وصانعة القبعات . دفع كل ما اشتراه وما اوصى عليه نقداً

Digitized by Birzeit University Library

— مسكين ! اخشى عليه ان يتعرض للافلاس

— لا خوف عليه من ذلك . او لم يخبرك بانه نال من مدة يسيرة ميراثاً عن قريب له توفي غريباً . وهذا الميراث لا يقل عن عشرة آلاف فرنك ذهباً . اضف الى ذلك ان كوراشون مدخر من تعب يديه نحو خمسة آلاف او ستة آلاف فرنك

— نعم انه اخبرني بذلك

— ولعله الى الآن لم ينفق اكثر من ثلثي ما عنده .

— صدقت

— وقد لامه امامي صديق من اصدقائه . فاجابه دعني من فلسفتك . انسيت اني على اهبة زواج واقامة عرس حافل . وما كل يوم عندي زواج وعرس . . . . ما لنا وله . فانه اعرف مني ومنك بميزانيته ومقدار دخله وخرجه . ولنعد الى شأننا . ما الذي تأمرني به يا سيدي ؟

— اني مثل كوراشون على اهبة الزواج . واؤمل ان تبيعني بمثل الاسعار التي اشترى بها من عندك ما اشتراه

— بدون شك ولا ريب

ثم اخرج لكرانج ساعته من جيبه وبعد ما نظر فيها قال للتاجر . ان الوقت يزحمني . وعندي الآن ميعاد لقاء مع بعضهم لا يمكنني الاخلال به . فاعذرني اذا اجلت مشترى لوازمي من محلك الى مساء اليوم الساعة العاشرة او نحوها

— الامر امرك يا سيدي في اي وقت شرفت محلنا تراني

Digitized by Birzeit University Library

رهين اشارتك

وهكذا انصرف لكرانج وقد زادت شكوكه جداً في كوراشون لسعته المالية تلك التي جاءته فجأة ولادعائه انه حصل معظمها بالاستيلاء على ميراث قريب له توفي. فطفح قلب شرطينا النشيط سروراً وانفتحت امامه ابواب امل جديد في ابحاثه عن قضية جوميني

نعم كان المسيو لكرانج مفتش رجال الشحنة طافح القلب سروراً في تلك الساعة ولكن سرور كوراشون لم يكن دون سروره بمقدار عظيم. كان كوراشون مبتهجاً قرير العين منشرح الصدر مفتخراً بنفسه لما اتاه من التدابير الحسنة في سبيل هناء عيشته المستقبلة اذ اعد معدات الزواج كلها واستأجر بيتاً جميلاً واقنع الفتاة ايلوديا بكتابة تلك الرسالة الفعل الى المستنطق مما ينقل التحقيق القضائي في قضية جوميني من طور الى طور ويجعل كوراشون في امان واطمئنان

صعد الشاب المذكور الى الغرفة التي كان مستأجرها ولم يكن قد برحها الى المنزل الفاخر الجديد الذي اختاره لمعيشته الزوجية. صعد الى تلك الغرفة فخلع ثيابه ولبس حلة نظيفة جديدة وتأنق في الهندام والزينة اكثر من معهود امره لانه كان ينوي ان يذهب بعد قليل بخطيبته وامها الى مكتب سجلات الزواج فيسجل هناك اقترانه بها مدنياً، وفي اليوم التالي يقوم بالصيغة الدينية للزواج ثم تعقد حفلة العرس بما تشتمل عليه من مظاهر انس وطرب وسرور وضيافات فاخرة ونحو ذلك. وما كاد ينتهي من ارتداء ثيابه حتى

Digitized by Birzeit University Library

سمع باب غرفته يقرع قرعاً خفيفاً ففتح الباب واذن للزائر بالدخول واذا به رجل في وجهه هيبة وشيء من العبوس عظيم القامة ملتف العضلات عريض المنكبين نافذ اللحظات

سلم الداخل على صاحب الغرفة باشارة بسيطة ثم خاطبه سائلاً

— أانت المسيو كوراشون ؟

— نعم

— ان لي اليك حديثاً

وكأن كوراشون اوجس خيفة او استشعر انزعاجاً من تلك الزيارة ومن ذلك الحديث . فاراد التخلص منه او تأجيله الى وقت آخر . فقال للرجل المجهول معتذراً :

— اعذرني في عدم تلبيتك هذا الوقت والك ان تختار لمحادثتي وقتاً آخر فان عندي الساعة شغلاً ضرورياً يقتضي عجلة

— اعلم ذلك تمام العلم . اعلم انك مزمع الذهاب بعد قليل الى مكتب تسجيل عقود الزواج لكي تسجل عقد زواجك بخطيبتك

فظهرت الدهشة على وجه كوراشون مما لحظه الرجل فقال له :

ليس في الامر موضع دهشة ولا استغراب . انا لكرانج مفتش الشرطة احتاج اليك في بعض الاسئلة المتعلقة بقضية جوميني كما سألنا غيرك من مستخدمي محل القتيل . وقد اعلمني المسيو جاك رئيسكم الجديد انك طلبت منه اجازة يومين للقيام بمهام عرسك

Digitized by Birzeit University Library

واطلعني على موقع غرفتك ورجح لي انك تكون فيها هذه الساعة وقد اتيتك ووجدتك ولم يذهب تعبي سدى

— فلما سمع كوراشون هذا الحديث عادت اليه طمأنينة القلب فقال:

— اني رهين اشارتك يا مسيو لكرانج في كل ما تطلبه واجد اليه سبيلاً . اتذكر اني شاهدتك قبل اليوم

— نعم . شاهدتني حين رافقت المستنطق والمدعي العام ورئيس الشرطة الى منزل المرحوم جوميني صبيحة يوم مقتله

— نعم . نعم . واسفاه على المرحوم جوميني فقد كان من خير الناس اخلاقاً وارفق الرؤساء باتباعهم وانا احدهم . ليتكم تظفرون بقاتله اللئيم في اقرب وقت لكي ينال جزاءه

— ولا يكون جزاؤه الا قطع رقبته بالمقصلة

— وهو جزاء عادل . . . ولكن الصحيح اني لا اعلم عن حادث قتله شيئاً انقله اليكم

فنظر مفتش الشرطة في وجه محدثه نظرات نافذة وقال بلهجة لا تخلو من الجفاف

— تذكر . تفكر . اصحيح انك لا تعرف عن حادث القتل شيئاً ؟

فارتعد كوراشون قليلاً ولكنه تماسك وتمالك جهده . فتجاهل الامر وقال متأدباً في كلامه :

— لم افهم الذي تعنيه يا مسيو لكرانج . وانت تعلم من التحقيقات الرسمية في هذه القضية اني ليلة مقتل المرحوم برحت

غرفة بواب المنزل في اوائل الليل تقريباً ولم اشعر بتلك الحادثة الفظيعة واسمع بها الا صبيحة اليوم التالي عند حضوري الى المكتبة . فاي افادة مهمة يمكنني اطلاعكم عليها ؟

— ومع ذلك يمكنك اطلاعنا على افادات خطيرة كبيرة

— مثل ماذا ؟

— مثل مشاهدتك للسيدة جوميني واقفة في ساحة سان سولبيس مع شاب فقير تحادثه وتقترح عليه امراً فرفضه ثم قبله، واعطته اجرته في اليوم التالي شيئاً من المال وانت ترى وتسمع

فاضطرب كوراشون وقال :

— لعل الفتاة ايلوديا اطلعتكم على ذلك ؟

— لم تزل الآنسة ايلوديا جاهلة بما علمناه من هذا القبيل وبموقفك الساعة امامي

فلم يحر كوراشون جواباً ولم يسعه الا السكوت . فقال له لكرانج :

= لماذا لم تطلع المستنطق على هذه المعلومات في ابانها وقد سألك عما عندك من الاخبار فلزمت الصمت ؟

فتردد كوراشون في الجواب لاول وهلة ثم تجلد وقال متلعثماً :

— لم اشاء نقل هذا الخبر الى المراجع القضائية لئلا يلحقني من ورائه ازعاجات وقيل وقال . وزد على ذلك اني . . . اني لم افكر في خطورة ما اطلعت عليه ولم احسبه ينفع رجال القضاء ورجال الشرطة في تحقيقاتهم

Digitized by Birzeit University Library

— وكيف فكرت بخطورته وانتبهت الى عظم شأنه بعد ذلك ؟ ولماذا كتمته عن المراجع الرسمية وجُدت به على الفتاة ايلوديا ؟

فظل كوراشون ساكتاً واجماً . واستأنف لكرانج حديثه متأنياً في توقيعه كلمة فكلمة . قال :

— انك يا هذا علمت علم اليقين بغض ايلوديا لسيدتها مرغريت ولم تجهل ان خروجها من محل جوميني كان سببه ما فاهت به من الافادات الكاذبة التي توجه الشكوك الى سيدتها في دائرة الاستنطاق . ثم لم تجهل ان ايلوديا خرجت من محل جوميني ممتلئة غيظاً وحنقاً مضطرمة شوقاً الى التماس وسيلة فعالة لايقاع الضرر بالسيدة جوميني . فقدمت انت لها هذه الوسيلة عفواً صفواً متبرعاً متطوعاً . اطلعتها على حديث الاجتماع في ساحة سان سولبيس وحثثتها على كتابة رسالتها الغفل وهو اقتراح اصاب هوى من فؤادها فكتبت الرسالة وارسلتها . ما الذي دعاك الى هذه السعاية الجهنمية وانت ربيب نعمة القتيل . وانت معتقد براءة ارملته مما اردت الصاقه بها ؟

فكاد كوراشون يصعق خوفاً واضطراباً . وحاول الكلام بما يحضره . ولكنه فتح فاه مرتين ولم يستطع النطق فلجأ الى السكوت . وكانت نظرات مفتش الشرطة في وجهه جارحة ذابحة

ثم عاد لكرانج الى مخاطبته قائلاً :

— اراك لا تريد الجواب ، او لا تستطيعه . فدعني اتولاه عنك .

Digitized by Birzeit University Library

فعلت ما فعلت لاراحة بالك ، لتضليل رجال الشرطة بحيث تكون في حرز حريز من توجه شبهة عليك وسوء ظن بك . وهكذا يصبح حظك كاملاً بعد ما اعددت معدات العرس وارضيت العروس وامها واستأجرت البيت واشتريت الثياب الفاخرة وتكرمت على العروس بالهدايا النفيسة . فلم ينقصك الا ان يطمئن بالك . وكيف يطمئن اذا لم تبعد عنك التحقيق بعداً شاسعاً . ومن ثم سعيت ذلك المسعى واستخدمت في سبيله الفتاة ايلوديا

وهنا ابتعد لكرانج خطوتين عن كوراشون وانتشل من جيبه مسدساً وصوبه الى رأسه وصرخ به بصوت عالٍ :

— اعلمت الآن ايها الخائن اللئيم من قاتل جومبني الذي تستحق رقبته شفرة المقصلة ؟ ان القاتل يسمى كوراشون . . .

— فاهتز كوراشون في موضعه ونقله شعوره بالخطورة العظيمة من حالة الانكسار والحيرة الى الحنق والوقاحة . فقدحت عيناه شرراً واطبق راحته اليمنى كأنه يريد اللطم . وهمَّ بالتقدم من محدثه . فقال له محدثه :

— حذار يا هذا ! . . . ان اقل حركة منك كافية لاحراق دماغك برصاص هذه المسدس

فعاد الى السكينة وهو يصر باسنانه . وبعد قليل هدأت ثائرته واغرورقت عيناه بالدموع وقال بلهجة المستغيث المتذلل :

— رحماك يا سيدي . . انسيت اني بريء . . . انسيت اني برحت المنزل تلك الليلة في الميعاد المعتاد . ولم اعد الى مركزي في المحل الا صباح اليوم التالي

Digitized by Birzeit University Library

— كلا. ليس هذا الذي جرى وان ادعيته انت وتوهمنا نحن صحته في بدء الامر. انك لم تبرح المنزل تلك الساعة من الليل. بل اوهمت البواب وزوجته انك برحته. وانما كمنت في الدهليز وساعدتك ظلمة المكان على الاستتار. ثم انسللت الى غرفة سيدك واختبأت وراء ستارة هناك وانتظرت عودة سيدك جوميني، وانت عالم عادته بصعوده الى مكتبه ذاك قبل النوم ليتفقد شيئاً من اعمال كتابة او حساب او ترتيب نقود او نحو ذلك. ولما طال اردت التلهي بتدخين لفافة تبغ فاخرجت العلبة من جيبك وفتحتها واردت لف لفافة. ثم انتبهت الى ان التدخين غير صواب فقد يأتي المسيو جوميني ويشم رائحة الدخان وهو يكرهه جداً فيريبه ذلك ويفتش في الغرفة حتى يهتدي الى مكمنك. ومن ثم اعدت التبغ الى علبته فتناثر منه شيء على ارض الغرفة. وقد وجدته انا وانتبهت اليه. وعرفت ان القاتل معتاد التدخين ثم علمت انا وغيري ان القاتل غير غريب عن المحل... ولما عاد المسيو جوميني وصعد الى تلك الغرفة وفتح الخزانة الحديدية وثبت عليه من ورائه، بعدما تناولت الخنجر الحاد الذي تعلم بوجوده على المنضدة هناك. فطعنته في ظهره طعنة هائلة وهكذا خر صريعاً. واخذت انت الاوراق المالية والنقود الذهبية المذخورة في الخزينة وانسللت عائداً من حيث اتيت. وبما انك تعلم الحركة السرية للباب لانك احد مستخدمي المحل استعملت تلك الحركة فانفتح الباب ثم اقفل من تلقاء نفسه وسمعت البوابة صوته... واما المال فكان ضالتك المنشودة للقيام بنفقات الزواج ومتعلقاته ولترفيه معيشتك

وتمكينك من السكنى في بيت جميل . والساعة سيرحب بك المسيو كورسيل كل الترحيب ويقدم لك مأوى اقل جمالاً من بيتك وهو السجن تغشاه موقتاً ريثما يستقبلك القبر بعده . . . انفقت عن سعة في كل شيء مع ان مرتبك صغير ضئيل لا يسمح لك بعشر ما انفقته . ولكنك كنت تقول انك استحوذت على ميراث شرعي افضي اليك من قريب لك توفي غريباً . وما هذا الميراث الا وهمي وما خبره الا مختلق تماماً قصدت باختلاقه ذر الرماد في العيون . . . ركبتُ الحافلة ازاءك ودخلتُ المطعم وكنتُ فيه بقربك وسمعتُ الحديث بينك وبين خطيبتك وامها . وانت لم تنتبه الى شيء من امري لاستغراقك في آمال الغبطة والسرور التي هيأتَ لنفسك اسبابها على زعمك . . .

ظننتَ انك ماهر ، ولم تدر ان لكرانج امهر منك . وحسبت ان رجال القضاء لا يصعب تضليلهم والخلاص من فخاخهم . ولكن نسيت قضاء الله وحكمه الرهيب وعنايته العجيبة التي اطلعتني على موقفك مع ايلوديا ومحادثتكما السرية مما آثار ظنوني وجعلني استقصي آثارك . . .

وكان كوراشون قد خارت قواه وسقط الى الارض ونكس رأسه وعلته صفرة الموت . فأمره لكرانج ان يتبعه وبعدما نزل به السلم اركبه في عربة معه واوصله وهو على تلك الحالة السيئة الى دار المحكمة ، وادخله غرفة الاستنطاق ساعة كان المستنطق يهم باصدار امره لزج السيدة مرغريت في الحبس ، مما تقدم معنا بيانه في الفصل السابق

وهكذا زال الخطر تماماً عن السيدة مرغريت وتخلصت من تلك الورطة الوبيلة واستعادت شرفها وكرامتها ، اسطع نوراً واتم بهاء مما كانا

*

واما سمعة الحذق والخبرة والنشاط التي حازها مفتش الشرطة المسيو لكرانج باكتشاف القاتل فحدث عنها ولا حرج . وقد سأله رئيسه بعد ما اثنى عليه اطيب الثناء : كيف توصلت يا عزيزنا الى معرفة الجاني ؟ فقال له :

— ايقنت كما ايقنتم ان القاتل لا بد ان يكون من سكان المنزل او مستخدمي محل جومبني . وان لم يكن القاتل مباشرة فهو مواطئ له مساعد اياه . فبحثت عن هؤلاء الاشخاص القليلين الذين يجب ان تحصر التهمة فيهم فوجدت معظمهم بعيدين عن هذه التهمة ومن اضاعة الوقت الاشتغال بهم . ورأيت ارملة القتيل ابعدهم عن هذه الجناية الفظيعة ، وان تعلل غيري بما اشاعه عنها بعض مبغضيها . قلت ان اولئك الاشخاص كان معظمهم بريئاً في عيني ولم اقل كلهم . ذلك لان اثنين منهما لم استبعد التهمة عنهما الفتاة ايلوديا وخادم المخزن كوراشون ، لما لاح لي من خبث ومكر الفتاة وخصوصاً لما اجتهدت في تضليل المحكمة بتوجيه انظارنا الى سيرتها ولم تكن قد رأت من سيدتها الاَّ كل معاملة حسنة لطيفة وكل خير

واما كوراشون فعندما بحثت عن سابق سيرته ونظرت في

اخلاقه لم اجد فيه موضعاً كبيراً للتهمة ولكنني لم ارَ قرائن الحال تشهد له كثيراً بالبراءة والنزاهة كما تشهد لجاك تيرتر وللمستخدم لويس وللشاب المعتوه عمانوئيل وللخادمة العجوز مانيتا ولارملة الفقيد السيدة مرغريت . ومن ثم دعاني الحزم ان اسيء فيه ظني ولو موقتاً كما اسيئه في الفتاة ايلوديا . فجعلت اراقبهما وما لبثت ان رأيتهما يتسارّان باهتمام في منعطف طريق . وهكذا تقصيت اثر كوراشون وكانت الشبهات عليه تزيد عندي كلما ازددت في البحث والتدقيق : حصوله على المال فجأة وانفاقه عن سعة والمؤامرة بينه وبين ايلوديا على كتابة تلك الرسالة الغفل الامر الذي استدللت عليه بتكتمهما في ذلك الاجتماع وتلك المحادثة

وقلت في نفسي انه هو الذي رأى السيدة مرغريت في ساحة سان سولبيس مع الشاب المجهول وحث الفتاة ايلوديا على كتابة الرسالة . ولو كانت ايلوديا هي التي رأت السيدة مع الشاب تقترح عليه ما تقترح وتؤدي له مالاً وهي حريصة على الاضرار بالسيدة لذكرت في دائرة الاستنطاق ذلك الحادث لا ما جسمته وهوّلت لنا بامره من اختطاف عمانوئيل للخنجر وتلويحه به بيديه امام صهره جوميني لما اراد صهره انتزاعه منه

هذه الدلائل رجحت عندي ان القاتل هو كوراشون ترجيحاً يتاخم اليقين . فلما جبهت بها المتهم واحددت اليه النظرات ورأيت تضعضعه وتلعثمه وعجزه عن الجواب انقلب عندي ذلك الترجيح يقيناً فسقته الى دار المحكمة وادخلته غرفة الاستنطاق

٢٥

ما السر الذي حرصت السيدة مرغريت على كتمانه

عادت السيدة جوميني الى منزلها ولما استقر بها المقام في غرفتها الخصوصية جلست منهوكة القوى واخذت تستعرض ما مرّ بها من اهوال ذلك الصباح وكيف كانت على قيد شعرة واحدة من الخطر العظيم والعار الجسيم ساعة مدّ المستنطق يده الى الجرس الكهربائي وفركه لكي يستدعي به بعض رجال الشرطة فيزجوها في السجن لرجحان وقوع التهمة عليها. تذكرت ذلك وكيف كانت الانظار ترمقها شزراً والنفوس تشمئز منها وتلعنها وهي طاهرة الذيل عفة الازار. ولكن لم يكن لديها حجة قانونية كافية لاثبات براءتها، لو لم يتداركها الله بلطفه الخفي فيدخل المسيو لكرانج سائقاً بين يديه القاتل اللئيم

فلما استعادت هذه الصور المخيفة امام عينيها غلبها الضعف فاستلقت على سريرها واستسلمت الى عواطفها وجعلت تشهق وتبكي بدموع سخية. غُلبت على امرها بفعل تلك التذكارات المؤلمة مع ما عُرفت به من قوة العزيمة ورصانة الطبع وحصافة العقل. ولا بدع فان للطبيعة البشرية حدّاً معروفاً وتخماً لا تتعداه حين يطرأ عليها طارىء من جبار اقوى منها. وما اشبهها اذ ذاك بالسدود والحواجز المكينة التي تقام في بعض المواضع بين البر والبحر. قد تصد البحر

Digitized by Birzeit University Library

عن البر مدة طويلة او قصيرة حتى اذا جاشت غوارب الامواج وصدتها الزوابع الموّارة لم تستطع تلك السدود والحواجز ثباتاً في وجهها فيتحطم بعضها وينثلم بعضها الاخر وينال الماء من اليابسة واهل اليابسة مأربه تغريقاً وتدميراً ونكاية وتنكيلاً

قضت مرغريت على تلك الحال نحو نصف ساعة ثم عادت اليها سكينتها شيئاً فشيئاً . فقامت عن السرير الى احد مقاعد الغرفة وارسلت تدعو اليها المسيو جاك تيرتر رئيس مستخدميها فمثل بين يديها ورأى اثر الدمع في عينيها واثر الاضطراب في وجهها . فحيّاها وظل واقفاً فاشارت اليه بالقعود فقعد وقالت له :

— اشكرك شكراً جزيلاً يا مسيو جاك

— بمَ استحق منك هذا الشكر يا سيدتي ؟

— بما اظهرته من الاخلاص لي والحزن لحزني والتألم لتألمي مع ثقتك التي لم تتزعزع ببراءتي ، حين كان الجميع يسلقونني بالسنة حداد وأرأفهم بي يكتفي بالنفور مني والابتعاد عن طريقي لانه يعدني حية رقطاء

— كيف اسيء الظن بك يا سيدتي وانا اعرف الناس بسجاياك الكريمة . وكيف لا احزن لحزنك واسر لسرورك ولك وللمرحوم زوجك علي فضل جسيم لم انسه ولن انساه !

— بارك الله فيك يا جاك . انك تألمت لما اصابني فاصبح لك حق ان ابشرك بالخبر الجديد

فخفق قلب جاك وصاح :

— بربك يا سيدتي ما الخبر وما البشارة ؟

Digitized by Birzeit University Library

— انقضى الامر وانحلت المعضلة وظهر القاتل الحقيقي

— من هو ومن الذي اكتشفه ؟

— هو خادم مخزننا اللئيم كوراشون . اكتشفه وفضح امره مفتش الشرطة المسيو لكرانج

— لعن الله الخائن وحيا الله من عرفه وامسكه . لقد توسمت خيراً بالمسيو لكرانج ورجوت عن يده ظفراً مبيناً من ساعة ملتقاي به وسماعي اقواله . ولكني لم اتصور الفرج قريب الميعاد الى هذا الحد .... هل اعترف الفاعل بفعلته ؟

— لم ابق في دائرة الاستنطاق الى ان اسمع اعترافه وارى ثبوت التهمة عليه . بل اكتفيت بهيئته الناطقة بتجريمه بافصح لسان، اذ كان في منتهى الذعر والتضعضع واليأس . وعلى وجهه صفرة الموت . اسرعت في براح دائرة الاستنطاق ولم اتمكن من التربص قليلاً . اذ وجدتني محتاجة الى بلوغ منزلي في اسرع وقت لكي استريح من اثر الهول الذي قاسيته في تلك الجلسة

— اي هول تعنين ؟ هل عادوا الى ازعاجك بمثل تلك الحماقات ؟

— ان ما اصابني اليوم لا يحسب في جنبه شيئاً مذكوراً ما مر بي قبله

— ويلاه ! ....

— قبل احضار القاتل ببضع ثوان كان المستنطق قد استدعى برنة الجرس الكهربائي شرطياً يقودني الى السجن

— ما تقولين ؟ اذن ذلك المستنطق رجل مجنون

— كلا . لو كان غيره مكانه لفعل فعله

Digitized by Birzeit University Library

— انني اسمع ما لا افهم

— وردت على المستنطق رسالة غفل فحواها ان احد الناس رآني قبل مقتل المرحوم زوجي بثلاثة ايام اتحدث سراً في ساحة سان سولبيس الى شاب فقير مجهول، وقد عرضت عليه امراً فرفضه ثم قبله ووعدته بمال اوّدي بعضه له في اليوم التالي ثم اوّدي بقيته بعد ذلك ، وفي اليوم التالي دفعت للشاب اوراقاً مالية . وبعد ذلك بيومين قتل زوجي

— بماذا اجبت على هذه الاقوال الغريبة

— قلت انها كلها صحيحة . ولكن لا علاقة لها بقتل زوجي

— كان يجب عليهم ان يصدقوك

— اشترط المستنطق لاجل تصديقي ان اطلعه على حقيقة ذلك الشاب ولما اجتمعت به واديت له مالاً وما الذي قصدته بقولي « بعد ذلك » . فاجبته ان في المسألة سراً خصوصياً لا حق لاحد ان يجبرني على افشائه

— ثم ماذا جرى ؟

— الحّ المستنطق في الاستطلاع والحت في الامتناع ، حتى ينش مني وظهر الغضب في وجهه وكلامه . وهمّ بارسالي الى ظلمات السجون، واذا بنور الحق قد انبلج وفوقه رايات الفرج، اذا بالمسيو لكرانج يسوق بين يديه القاتل الاثيم

— وهكذا عرف الجميع والحمد لله انك كنت صادقة حين قلت ان ما جاء في الرسالة الغفل ليس له اقل علاقة بالقضية

— نعم الآن عرف المستنطق وعرف الناس ذلك . ولكن لا

Digitized by Birzeit University Library

ادري اكنت محقة مصيبة في الكتمان ولو بتعريض نفسي للخطر الاعظم ، ام كنت فيه مخطئة خطأ منشأه الوهم والمبالغة في عزة النفس الى حد يصمني بوصمة العجب والكبرياء . ان ذلك السر الذي عز علي ان افضي به الى المستنطق اراني مرتاحة الى اطلاعك عليه

— لا حاجة بي الى ذلك يا سيدتي . وليس لي ان اعدو دوري واتجاوز حقي في الوصول الى ما هو من خصوصياتك . لا اعلم الذي استحسنت كتمانه ، ولكني اعلم انه شيء لا ينافي ما عرفت به من شرف وفضيلة

ان ثقتك العمياء بي يا جاك لجميلة تفتح العيون على فضلك ونبلك . هلم اصغ الى كنه ما حجبته

— فظل جاك ساكتاً مصغياً واندفعت السيدة جوميني في حديثها . قالت :

« الامر عائلي بحت . كان المرحوم والدي في درجة حسنة من اليسر وسعة العيش . ولكن اخي ادوار دوفيرنوا نشأ نشأة غير محمودة . وهو اصغر مني بسنة واحدة . تساهلت امي في تربيته وبالغت في تدليله . ولم تكن شدة حنوها عليه تسمح لها بكبح اهوائه الصبيانية ومطالبه الجائرة . وهكذا شب ميالاً الى الاسراف والتبذير والانهماك في اللذات المباحة وغير المباحة . ومما زاد الطين بلة والطنبور نغمة ان قد التف حواليه شبان من ذوي الطيش مع ذلاقة لسان ورقة معشر فاستعذب صداقتهم واذعن الى اغراءاتهم له بالمفاسد . وهكذا تلبدت فوق فطرته قشور قذرة كثيفة ولولا

هذه الاغشية الطارئة لما رأى الراني في فطرة اخي بأساً . فهو في الاصل مطبوع على النخوة ورقة العواطف والحياء . وما لبث بعد استغراقه في المفاسد ان احتاج الى مبلغ جسيم من المال فاختلسه من مال ابيه وفر من البيت هارباً وترك وراءه ديوناً عظيمة اضطر ابي الى وفائها عنه علاوة على المال الذي انتهبه دفعة واحدة . وهكذا انتقلنا من الغنى الى الفقر ولم تطل حياة ابي بعد ذلك بل توفي ولحقت به امي بعد اشهر قليلة . وبقينا نقاسي اهوال الفاقة وذلها انا واخي الاصغر واختي الصغرى . ثم انعم الله علي بالانتعاش اذ اقترن بي المرحوم جوميني وعادت الى ما بين يدي ثروة اعظم من الثروة التي فقدناها . وكان اخي ادوار قد بدد جميع المال الذي اخذه واصبح في منتهى الفقر والمسكنة وانا غاضبة عليه وقد قاطعته وقاطعني . والظاهر ان خلق الطيش الذي افسده في اول صباه اخذ يفارقه اليوم ، ولكن بعد خراب البصرة . ولما ضاقت به الحلقات وعضه الجوع بنابه واصبح نصف عريان جاءني مصالحاً باكياً نادماً حالفاً انه لن يعود الى شيء مما كان فيه . والذي اثر فيه كثيراً موت ابويه غاضبين عليه . فوبخته وجفوته في اول الامر . فتركني غير يائس مني . ثم عاودني وصادفني في ساحة سان سولپيس كما روت الرسالة الغفل وعاد الى الترجع والتندم . فرق له قلبي وسألني ان اساعده مالياً ليتوصل عملاً ما ويكفر عما جرى منه . فقلت له اني اساعده بشرط ان لا يظل مدعاة خزي وعار لي وهو بقربي ، بل ان يعمل خارج فرنسة . فتمنع . ولما رآني متشبثة بشرطي المذكور اضطر الى القبول ولما قبل قلت له

Digitized by Birzeit University Library

اني ساعطيه كذا من المال ربعه اوديه له غداً لكي يشتري ثياباً لائقة ويدفع نفقات السفر. وبقية المبلغ اوديه له بواسطة احد المصارف بعد ذلك. وبقولي بعد ذلك اردت بعد وصوله الى نيويورك التي اختارها لنفسه مقاماً »

فاطرق المسيو جاك وقال ان ما ذكرته يا سيدتي مؤلم مؤسف ولكن ليس فيه شيء من عجائب الدهر. افا كنا نحن ايضاً في يسر ثم خطر لوالدي وهو رجل ناضج ذو سن وتجربة ، لا فتى غرّ مثل اخيك ، ان يزيد ثروته مبالغ طائلة في اسرع وقت بمجازفات ومضاربات البورصة فكانت النتيجة ان فقدنا ثروتنا وتوفي والداي غمًّا وحسرة ؟

ثم استأذن السيدة في الانصراف. وبقيت وحدها تتجاذبها الافكار والهواجس ما بين بيضاء وسوداء. ولكن البياض والاشراق كان غالباً عليها بعد احقاق الحق وازهاق الباطل في قضية المرحوم زوجها

وبعدما ظهرت براءتها سألها بعض جيرانها وعارفيها قائلين : هل لنا ان نسألك الآن بعد ظهور الحق عن امر ذلك الشاب الذي قالوا انك لقيته وحادثته واديت له مالاً؟ فاجابتهم انه احد اقاربي وقد عضّه الدهر بنابه فاصبح فقيراً. وتّجته ثم رأفت بـه فاسعفته بشيء من المال في ذلك الملتقى

فذاع تصريحها بين الناس ورجال القضاء فاكتفوا بـه وازال من نفوسهم بشأنه موضع الاستغراب والحيرة

Digitized by Birzeit University Library

الختام

انقضت على هذه الحوادث عشر سنوات . وفي اثناء هذه الحقبة من الدهر شبت الحرب الضروس التي نعرفها اليوم باسم الحرب العظمى او الحرب الكونية . شبت بين فرنسة وحلفائها وبين المانية وحلفائها في صيف سنة ١٩١٤ ثم وضعت اوزارها في شتاء سنة ١٩١٨ فكانت اهوالها وذكرياتها العجيبة طامسة لما سبقها من الحوادث العمومية والخصوصية . وفي جملة ذلك قضية جوميني ومتعلقاتها حتى لم يبق الا القليلون في باريس وضواحي باريس ممن يتذكرون تلك القضية المهمة ويروون بعض ما استلزمتهُ من متاعب ومصاعب . واما ختام حوادثها فكان كما يلي :

اعترف كوراشون في محكمة الجنايات انهُ هو الذي قتل سيده جوميني طمعاً في ماله ، وانه هو الذي اوحى الى الفتاة ايلوديا فحوى تلك الرسالة الغفل فكتبتها وارسلتها الى المستنطق . فاستدعيت ايلوديا والسيدة جوميني وظهر للمحكمة بعد سماع اقوالها ان السيدة لم تسئ الى الفتاة وانها كانت تظنها صديقة صادقة ولم يسع ايلوديا انكار فعلتها . وفي جلسة واحدة اصدرت المحكمة حكمها بالموت على القاتل كوراشون فقتل . وافهمت السيدة

Digitized by Birzeit University Library

مرغريت شفاهاً ان لها تمام الحق باقامة دعوى جزائية على ايلوديا فتنالها العقوبة القانونية التي تستحقها . وكانت دار المحكمة محتشدة بجماهير الناس رجالاً ونساء يعون ويسمعون مصغين ساكتين كأن على رؤوسهم الطير . واما السيدة مرغريت فلم تتردد في الجواب بل قالت :

— اني اصفح عن الآنسة ايلوديا ولا اقيم دعوى عليها . ولكني اتأسف لما ظهر من اخلاقها وسيرتها

فضج الحاضرون باصوات مختلفة . راق بعضهم كرم اخلاق السيدة مرغريت فصفقوا اعجاباً بها وصاحوا : « حيّاك الله ايتها السيدة الشريفة . لتحيَ السيدة مرغريت . لتحيَ ! » وساء بعضهم الآخر وهم الاكثرون نجاة ايلوديا من العقوبة والتنكيل فصاحوا : « بربك ايتها الشريفة لا تعفي عنها ! . . . ان اللئام لا يستحقون عفواً . . . . فلتحبس . . . . فلتحبس ! »

وهكذا انفضت الجلسة وهمت ايلوديا بالانصراف منسلة بين الجموع . ولكنها لم تستطع اذ ازدحموا حولها واخذوا يوبخونها ويهينونها بقوارص التوبيخ والتهكم ولكزها بعضهم في رأسها وصدرها . ولو تركوا وشأنهم لمزقوها إرباً إرباً فسقطت الى الارض وكاد يغمى عليها . فتداركها بعض رجال الشرطة وفرقوا الجمهور عنها وخفروها الى منزلها . ولكنها ادركت ان معيشتها في باريس اصبحت عليها من المكاره التي لا تطاق فلجأت الى احدى القرى البعيدة وعاشت هناك عيشة مسكنة وذل ولم يتقدم اليها احد من طالبي الزواج . وهكذا قضت حياة بؤس وشقاء ثم توفيت قبل

Digitized by Birzeit University Library

ان تجتاز طور الشبيبة

واما المسيو جاك تيدتر فوفق في اعماله وزادت ارباح المحل على يديه وكان ميله القديم الى السيدة مرغريت ينمو في قلبه وهو يكتمه اشد الكتمان ولا تظهر منه بادرة غير مستحبة او غير لائقة . وقد علمنا من اوائل هذه الرواية ان جاك لم يكن من عائلة حطيطة بل من بيت حاز شيئاً من الجاه والثروة وطيب السمعة ثم جار الدهر عليه فافتقر . وهكذا كانت مرغريت في نشأتها ومثل هذا جرى على بيت ابيها . وعلمنا ايضاً ان جاك يوم كان المستخدم الاول في محل جوميني ومرغريت خازنة المحل اي امينة صندوقه صبا اليها فؤاده واضمر في نفسه ان يخطبها فلما خطبها وتزوجها سيده جوميني غبطه وغبطها واحتمل خيبة امله بصبر وقناعة وكرم طبع مصغياً الى دواعي الاخلاص في الخدمة والانصاف في المعاملة . وظل كذلك الى ان انقضت عشر سنين على وفاة جوميني وهي اضعاف المدة التي يفرضها العرف في حداد الزوجة على زوجها . وبعد هذه المهلة الطويلة تقدم منها طالباً ان تقبله قريناً فاستشارت بعض من تعتمد عليهم وفي طليعتهم الاب ماريستو فلم يروا مانعاً يمنع هذا القران فتزوجها . واما اخوها ادوار فكانت احواله قد تحسنت قليلاً ثم خاض معامع الحرب الكونية في خدمة جيش وطنه الفرنسوي فابلى بلاء حسناً واثنى عليه قواده واراد العودة الى مركزه في نيويورك بعد انقضاء الحرب فلم يسمح له بذلك صهره ولا اخته مرغريت بل ابقياه بقربهما واشركاه في المحل ، وكان المحل قد اتسع نطاقه واصبحت ادارته محتاجة الى مساعد وشريك فقام بتلك المهمة

الجديدة خير قيام. واستدعت مرغريت على اثر انتهاء الحرب اخاها الاصغر شارل واختها الصغرى هنريت فسكنا في منزلها وتولت امر تربيتها وتدريسها في انجح المدارس وارقاها

واما الشاب المعتوه عمانوئيل فبعد وفاة صهره باقل من سنة توفاه الله على اثر مرض قصير المدة وقد فاضت روح ذلك المسكين وهو ممسك بيده يد مرغريت

واما لكرانج فاذ لم يرفعه روساؤه الى الدرجة التي املها منهم واستحقها استعفى وانشأ محل بوليس خصوصي يشتغل لحساب نفسه ويتولى البحث والتحقيق في كل حادث يكلفه اصحابه ان يتولى امره مقابل اجور معينة حسب اهمية الحادث. فنجح نجاحاً عظيماً في محله الجديد ونال فيه من الربح والشهرة والكرامة مضاعف ما كان يناله وهو في دائرة الشرطة الرسمية

واما الكاتب ميتلوا فقد ربحت احدى غر اليانصيب التي اشتراها بضعة الآف من الدنانير فاستغنى بها عن الخدمة مستثمراً ذلك المال بطرق مأمونة مضمونة

واشتدت عرى الصداقة بين هؤلاء الكرام مع عائلاتهم جاك ولكرانج وميتلوا فصاروا يزورون بعضهم بعضاً ويترافقون في كثير من النزه والملاهي ومواعيد الاصطياف

واما المستنطق المسيو كورسيل فقد سرّ جداً بانكشاف الحقيقة في تلك القضية المعقدة ولكن سروره كان مشوباً بشيء من الخجل والحياء لجواز البطل على عينيه حيناً من الزمن حتى كاد ينصره على الحق وهو لا يدري ولا يشعر ولكن الناس شفعوا في

Digitized by Birzeit University Library

خطاه ذاك ما قام به الرجل من جلائل الاعمال والدعاوي في اثناء حياته القضائية . وقد اعتذر الى السيدة مرغريت فتبسمت وقبلت عذره ظاهراً وباطناً ثم اعتزل القضاء . واحيل على التقاعد . فلجأ الى مزرعته الجميلة تلك وكان كلما قدم الى باريس زار المسيو جاك وزوجته السيدة مرغريت وكانا يردان له الزيارة في مزرعته مرتين او ثلاثاً كل سنة

(تمت)

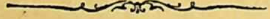

— اصلاح خطأ —

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤	١١	امضى النتائج	بعض النتائج
٦	١	ويبيعها	ويطبعها
٧	١٢	مغتبظ	مغتبط
٢٧	١	عجز	تحجر
٢٧	٩	له فتاة	ان فتاة
٣٠	١١	والحت لي على	والحت على طلب
٣٧	١٧	كراهته	كراهة
٥٤	٧	صبح	اصبح
٧٢	٨	الكائن	الكامن
٧٥	٥	يحسب مجسما الشرف	يحسب صورة مجسمة للشرف
٨٦	١١	وجهة السيدة	جهة السيدة
٩٣	٢٢	يفضل	نفضل
١٠٠	١٣	وتأكد	تيقّن
١٠٧	١٨	وتؤدي	وتؤدِ
١٠٩		(في راس الصفحة) ...	٢٢
١١١	١٣	تلك القضية	تلك الحاجة
١١٢	١٨	بشرفها	شرفها
١١٣	١٥	تستعد	تشتق
١١٤	١٢	احست	أأحست

Digitized by Birzeit University Library

- تابع اصلاح خطأ -

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٢٥	١٥	بتوقفك	بتوقيفك
١٣١	١	بالدخول	في الدخول
١٣٦	٧	طال	طال انتظارك
١٣٩	١٦	بين يديه	به بيديه
١٤٣	١٢	ولما	ولماذا
١٤٤	٢٠	ان قد التف	ان التف

Digitized by Birzeit University Library

فهرس الكتاب

	صفحة
مقدمة للمعرب	٣
هناء بيت يزول	٥
حيرة رجال القضاء في الحادث	١٠
ارملة القتيل امام المستنطق	١٥
كلمة في مستخدمي جوميني	٢٢
هدية الاب ماريستو	٢٦
الفتاة ايلوديا وحنقها	٢٩
قُبيل الزواج	٣٢
مشاورة الاب ماريستو	٣٥
زواج مرغريت . حادث للابله عمانوئيل	٣٩
من اي جهة يبدأُ التحقيق ؟	٤٢
خواطر المستنطق	٤٦
خواطر شرطي	٤٨
ما قالته وفعلته مرغريت على اثر موت زوجها	٥١
باب يفتح ويقفل من نفسه	٥٤
صدى الخبر الجديد الذي رواه البواب والبوابة . ايلوديا امام المستنطق	٥٨
المستنطق ازاء مرغريت وايلوديا ازاء جاك	٦٨
مرغريت بعد ما علمت بالتهمة الموجهة اليها	٧٩

Digitized by Birzeit University Library

صفحة

جاك والشرطي لكرانج ٨٢
ايلوديا وكوراشون ٨٨
رسالة غفل ٩٦
المستنطق بين مكتبه ومزرعته ١٠٢
بين الصديقين ميتلوا ولكرانج ١٠٩
موقف رهيب في دائرة الاستنطاق ١١٣
كيف افلح لكرانج في مسعاه ١٢٦
ما السر الذي حرصت السيدة مرغريت على كتمانه ؟ ١٤٠
الختام ١٤٧
جدول لاصلاح الخطأ ١٥٢

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

P 7692 .B4 1932
BIRZEIT UNIVERSITY LIBRARY
A03302
A03302 c

Digitized by Birzeit University Library